عيون الأدب العربي

ابن وكيع التنيسي

شاعر الزهر والخمر

جمع شعره وحققه
دكتور حسين نصار
كلية الآداب بجامعة القاهرة

الناشر
مكتبة مصر
شارع كامل صدقي باشا

ابن وكيع التنيسي

شاعر الزهر والخمر

جمع شعره وحققه

دكتور حسين نصار

كلية الآداب بجامعة القاهرة

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي باشا

دار مصر للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ابن وكيع وشعره

تِنِّيس

موطن الشاعر

تنيس، بكسر التاء وتشديد النون المكسورة: اسم أطلق على ثلاث بقاع: على البحيرة التى نسميها اليوم بحيرة المنزلة، بين مدينتى بورسعيد ودمياط؛ وعلى إحدى جزائر هذه البحيرة، وكانت فى شمالها الشرقى، أى قريبا من مدينة بورسعيد الحالية؛ ثم على أكبر مدن هذه الجزيرة.

وقد وصف الحسين بن محمد المهلبى المدينة والبحيرة فقال[1]: «وبحيرتها التى هى عليها، مقدار إقلاع يوم فى عرض نصف يوم، ويكون ماؤها أكثر السنة ملحا لدخول بحر الروم[2] إليه عند هبوب ريح الشمال. فإذا انصرف[3] نيل مصر فى دخول الشتاء، وكثر هبوب الريح الغربية، خلت البحيرة وخلا سيف[4] البحر الملح مقدار بريدين حتى يجاوز مدينة الفرما[5]. فحينئذ يخزنون الماء فى جباب لهم، ويعدونه لسنهم».

وقال ياقوت[6]: «وهناك فوهة يدخل منها ماء البحر الأعظم إلى بحيرة تنيس، فى موضع يقال له «القرباج»، فيه مراكب تعبر من بر الفرما إلى البر

(١) ياقوت: معجم البلدان ١: ٨٨٢

(٢) بحر الروم: ما نسميه اليوم البحر الأبيض المتوسط.

(٣) أى أخفض فى وقت التحاريق. (٤) سيف البحر: شاطئه.

(٥) الفرما: مدينة قديمة على ساحل البحر الأبيض المتوسط بين العريش وتنيس

(٦) معجم البلدان ١: ٨٨٤.

المستطيل ، الذى ذكرنا أنه يحول بين البحر الأعظم وبحيرة تنيس ، يسار فى ذلك البر نحو ثلاثة أيام إلى قرب دمياط . وهناك أيضاً فوهة أخرى تأخذ من البحر الأعظم إلى بحيرة تنيس . وبالقرب من ذلك فوهة النيل ، الذى يلتى إلى بحيرة تنيس[١] . فإذا تكاملت زيادة النيل غلبت حلاوته على ماء البحر ، فصارت البحيرة حلوة ، فحينئذ يدخر أهل تنيس المياه فى صهاريجهم ومصانعهم لسنتهم[٢] » .

وقال المسعودى[٣] : « تنيس كانت أرضا لم يكن بمصر مثلها استواء وطيب تربة ، وكانت جناناً ونخلاوكرما وشجرا ومزارع . وكانت فيها مجار على ارتفاع من الأرض ، ولم ير الناس بلداً أحسن من هذه الأرض ، ولا أحسن اتصالا من جنانها وكرومها . ولم يكن بمصر كورة يقال : إنها تشبهها إلا الفيوم » .

واشتهرت تنيس فى تاريخها القديم بالزرع والخز ، قال ابن وصيف شاه[٤] : « وحولها الزرع والشجر والكروم وقرى ، ومعاصر للخمر ، وعمارة لم يكن أحسن منها » .

وكثر بها الطير والسمك ، قال صاحب تاريخ تنيس[٥] : « ولتنيس موسم يكون فيه من أنواع الطيور ما لا يكون فى موضع آخر ، وهى مئة ونيف وثلاثون صنفا ، وهى : السلوى ، النفح المملوح ، النصطفير ، الزرزور . . . الدبسى . . . القمرى ، الفاختة ، النواح . . . ويصل إلى تنيس طير كثير لا يعرف اسمه صغار وكبار . . . ويعرف بها من السمك تسعة وسبعون صنفا ، وهى البورى ، البلمو ، البرو ، اللبب . . . » .

وقال ابن بطلان فى وصف أهلها[٦] : « وأخلاق أهلها سهلة منقادة ، وطبائعهم مائلة إلى الرطوبة والأنوثة . . . وهم يحبون النظافة والدماثة والغناء واللذة ، وأكثرهم يبيتون سكارى » . « وكان يسكن بمدينة تنيس ودمياط نصارى تحت الذمة » .

---

(١) يريد الفرع التانيسى من النيل ، الذى كان يصب حينذاك بجوار تنيس .

(٢) المصانع : الأحواض التى يخزن فيها الماء . (٣) خطط المقريزى ١ : ١٧٧ .

(٤) خطط المقريزى ١ : ١٧٦ . (٥) ياقوت : معجم البلدان ١ : ٨٨٦ .

(٦) خطط المقريزى ١ : ١٧٧ .

وابن وكيع ربيب هذه البيئة حقا ، وشعره معرض فنى لمناظرها المختلفة . فالشاعر خفيف الروح كل الخفة ، لا تكاد تقرأ له مقطوعة حتى يملك عليك أنفاسك ، ويستولى على حبك ؛ فهو من هذا الوجه مصرى خالص، وهو محب للنظافة مولع بها ، يغيظه من الصيف عرقه وتوسيخه الثياب :

يعلو به الكرب ويشتد القلق   وتنضح الأبدان منه بالعرق
تبصره فوق القميص قد علا   حتى ترى مبيضه مصـندلا

أما الغناء واللذة والخمر فقد شغلت حياته كلها ، وشعره جميعه . قال : « فإننى شيخ الملاهى والغزل » . وإننا لنستطيع أن نصف شعره بأنه دعوة إلى شرب الخمر من كف غلام نصرانى ، وقد أخذ المغنى فى الشدو ؛ فهذا هو العيش :

واشرب عقارا طال فينا كونها   يصفر من خوف المزاج لونها
من كف ظبى من بنى النصارى   ألبابنا فى حسـنه حيارى
لا سيما مع مسمع وزامر   قد سلما من وحشة التنافر
دونك هذى صفة الزمان   مشروحة فى أحسن البيان

وقد كان لابن وكيع حوار طويل مع غلامه النصرانى ، صوره فى مربعته أجمل التصوير وأوسعه .

وإذن فشعر ابن وكيع أصدق صورة وأجملها لبيئة تنيس . وكانت تنيس مدينة الربيع والخمر ، فكان ابنها شاعر الربيع والخمر .

ولا أدل على ذلك الذوق الفنى للجمال الذى كان يتحلى به أهل تنيس ، من تلك الصناعة التى اشتهروا بها . قال المقريزى[1] : « وكان أهلها مياسير أصحاب ثراء ، وأكثرهم حاكة ، وبها يحاك ثياب الشروب التى لا يصنع مثلها فى الدنيا . وكان يصنع فيها للخليفة ثوب يقال له « البدنة » لا يدخل فيه من الغزل سداه ولحمته غير أوقيتين ، وينسج باقيه بالذهب بصناعة محكمة ، لا تحوج إلى تفصيل ولا خياطة ، تبلغ قيمته ألف دينار . وليس فى الدنيا طراز ثوب كتان يبلغ الثوب منه ، وهو ساذج بغير ذهب ، مئة دينار عينا ، غير طراز تنيس ودمياط . . وإن كانت شطا وديقو ودميرة وتونة وما قاربها من تلك الجزائر ،

(١) خطط المقريزى ١ : ١٧٧ .

يعمل بها الرفيع ، فليس ذلك يقارب التنيسى والدمياطى . وكان الحمل منها إلى ما بعد سنة ستين وثلاث مئة يبلغ من عشرين ألف دينار إلى ثلاثين ألف دينار لجهاز العراق » .

وقال الحسين بن محمد المهلبي[1] : « أما تنيس فالحال فيها كالحال فى دمياط إلا أنها أجل وأوسط ، وبها تعمل الثياب الملونة والفرش والأبوقلمون » . والأبوقلمون هذا من الحرير المتغير اللون ، قيل : إنه يبدو فى ألوان متغيرة فى كل ساعة من ساعات النهار[2] . وقال الكندى[3] : « بتنيس ثياب الكتان الدبيق ، والمقصور الشفاف ، والأردية ، وأصناف المناديل الفاخرة للأبدان والأرجل ، والمخاد ، والفرش المدلى ، والطراز ، وخمسة آلاف منسج لنسج الأقمشة ، وكثيراً ما نسجت كسوة الكعبة بها[4] . وقد أثرت هذه الصناعة وهذه الطرز فى مخيلة الشاعر تأثيراً عظيما ، فأكثر من تشبيه الدنيا فى أيام الربيع ، وقد حلتها الأزهار ، بالوشى الجميل حلته الرسوم .

وكان هذا سببا فى غنى المدينة ، حتى اشتهرت بذلك . قيل[5] : إن الأوزاعى رأى بشر بن مالك يلتبط[6] فى المعيشة ، فقال : « أراك تطلب الرزق ، ألا أدلك على أم متعيش ! » ، قال : « وما أم متعيش ؟ » ، قال : « تنيس ! ما لزمها أقطع اليدين إلا ربته » . قال بشر : « فلزمتها فكسبت فيها أربعة آلاف » .

ولم يشتهر أهل تنيس بالغنى واللهو وحب الجمال حسب ، بل اشتهروا بالعلم أيضا . حكى عن يونس بن صبيح ، أنه رأى بها خمس مئة صاحب محبرة يكتبون الحديث[7] . ولعل فى خبر الأوزاعى السابق ما يؤيد ذلك ، إذ ما كان يبعث صاحبه وهو الفقيه المشهور إلى مدينة اللهو والخمر ، إن لم يكن للعلم فيها سوق رائجة أيضا . وشارك شاعرنا فى هذه الحياة العلمية ، وألف كتابا يسمى المنصف ، نقد فيه المتنبي وتتبع سرقاته . ويدل الجزء الباقى منه على جهد خاص جدير بالتقدير .

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ١ : ٨٨٢ .

(٢) نظر : فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد أبو حديد ٣٠٦ .

(٣) خطط على مبارك ١٠ : ٥٠ .

(٤) خطط المقريزى ١ : ١٨١ .

(٥) ياقوت : معجم البلدان ١ : ٨٨٣ .

(٦) يلتبط : يحتال ويجتهد .

(٧) نفس المرجع .

عصر الشـــاعر

الحياة السياسية والاجتماعية فى القرن الرابع

امتازت الحياة السياسية والاجتماعية فى القرن الرابع الذى عاش فيـه ابن وكيـع بعدم الاستقرار. فقد تداول مصر خلافتان متعاديتان، شغلت كل منهما نصف هذا القرن على وجه التقريب. وكانت الخلافة العباسية التى كانت مصر تحكم باسمها فى الثمانية والخمسين سنة الأولى، غاية فى الضعف وعدم الاستقرار. فهذه قائمة بالخلفاء، وتواريخ حكمهم:

المقتدر: طلع عليه القرن الرابع واستمر إلى أن قتل عام ٣٢٠ هـ، وعـذبت أمه حتى توفيت، وقد خلع فى عام ٣١٧ لثلاثة أيام ثم أعيد.

القاهر : ٣٢٠ — ٣٢٢ خلع وسملت عيناه.

الراضى : ٣٢٢ — ٣٢٩ مات ميتة طبيعية.

المتقى : ٣٢٩ — ٣٣٣ خلع وسملت عيناه

المستكفى: ٣٣٣ — ٣٣٤ « « «

المطيع : ٣٣٤ — ٣٦٣ خلع نفسه فى مرض موته.

أما الخلافة الفاطمية فكانت مستقرة فى مصر فى ذلك القرن، سوى السنين الأخيرة من عهد الحاكم بأمر الله، الذى قتل عام ٣٨٦ هـ.

وولى مصر فى العشرين سنة الأولى من القرن قريب من ١٣ واليا، لم تخل أيام أحـد منهم من الاضطرابات والفتن، بل كثيراً ما لم يقبل الوالى القديم التنازل للوالى الجديد، فنشبت بينهما الحرب، كما حدث بين محمد بن طغج الإخشيد وأحمد بن كيغلغ عام ٣٢٣ هـ فى مدينة تنيس نفسها. أما بقية أعوام الخلافة العباسية فى هذا القرن فقد وليت مصر الدولة الإخشيدية، التى مات أميراها الأخيران أبو القاسم أنوجور وعلى بن الإخشيد فى ظروف غامضة،

إلى جانب وقوعهما تحت سيطرة كافور فى حياتهما . وانقضت الدولة على يد الصبى أحمد بن على الإخشيد .

ولم يكن الوزراء ولا الأمراء ولا الكبراء ولا كل من تصدى للوظائف العامة ، بأحسن حظا من سابقيهم . فنهايتهم القتل أو السجن او التشريد ، وما جمعوه من أموال مآله إلى المصادرة ، وما بنوه من منازل خاتمته الإحراق والهدم . فكان من الغريب الجدير بالالتفات أن كافورا لم يزل فى مملكته وسعادته إلى أن توفى[١] ، ولقد قال المتقى ، ثانى خليفة سُملت عيناه فى هذا القرن ، قولته التى صارت مثلا فى الخليفة المستكفى[٢] : « صرنا اثنين ويحتاج إلى ثالث » ، وما لبث أن تحققت كلمته ، فخلع المستكفى وسمل ، وسجن معهما .

يضاف إلى ذلك غارات الروم والقرامطة والفتن التى لم تخل منها سنة ، فجعلت العالم الإسلامى كأنه بركان ثائر ، أو منطقة زلازل مستمرة ، لا يكاد يفيق من التقتيل والتشريد .

كل هذا رسم أمام ابن وكيع صورة مفزعة لحياة الخلفاء والكبراء ، هزت أعصابه هزا ، وتركت فى نفسه أثراً لم يمح البتة . ولعل هجرة أسرته من الأهواز إلى مصر كانت لبعض الأسباب المتصلة بهذه الثورات والتقلبات . ولعل هذا كان من العوامل التى جعلته يكب على الخمر ، يقول :

وإن أتوك فقالوا : كن خليفتنا فقل لهم : إننى عن ذاك مشغول
فإن ذلك أمر مع نفاسته ونيله بفناء العمر موصول
وارض الخمول فلا يحظى بلذته إلا امرؤ خامل فى الناس مجهول

فالخمول هو أمان الرجل فى ذلك العصر :

لقد قنعت همتى بالخمول وصدت عن الرتب العاليه
وما جهلت طعم طيب العلا ولكنها تؤثر العافيه

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣ : ٢٥١ .
(٢) نفس المرجع ٢٨٢ .

وكثيراً ما ضرب الأمثلة بتقلب الدهر بالأحرار ، وأخذ يعاتبه لذلك ، يقول فى الخز :

أحكامها فى العقل إن هى حكمت   أحكام صرف الدهر فى الأحرار

ويقول :

وأكثر فى الهجر العتاب كأننى   لدهرى من ظلم الكرام أعاتب

بنو ضَــبَّة(١)

قبيـــلة الشاعر

تنتسب هذه القبيلة إلى ضبة بن أد بن طابخة بن مضر، وهو أخو عبد مناة ومزينة، وعم تميم بن مر. وقد تسمى بهذا الاسم جماعة آخرون، اشتهر منهم ضبة بن عمرو الهذلى، وضبة بن الحارث بن قريش. وعد بعض اللغويين بنى ضبة من الرباب، وهو الاسم الذى يطلق على بنى عبد مناة وحدهم.

وكانت مراعى هذه القبيلة فى اليمامة، وامتدت حتى شملت وادى عقيل بنجد، وقد اضطرت عبس إلى النزول بين بنى ضبة بعض الوقت، فى أثناء حروبها مع ذبيان، ولكن ما قام بينهما من نزاع ألجأها إلى الرحيل. وعندما اندلعت نيران الحرب بين بنى تميم وبنى عامر بن صعصعة، نزل بنو ضبة أراضى بنى عامر. وحينئذ اتحدت ذبيان وأسد ومعظم بطون تميم وضبة والرباب، على قتال عامر وعبس. ولكنهم منوا بالهزيمة فى يوم جبلة، فى حدود عام ٥٧٩ م، أى بعد مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بما يقرب من ثمانى سنوات.

وفى حروب الردة، انضم كثير من بطون تميم وخاصة يربوع بن حنظلة إلى سجاح المتنبئة. أما ضبة والرباب فوقفتا على الحياد. ثم اشترك فريق من بنى ضبة مع قبائل أخرى كثيرة فى حروب العراق، تحت قيادة المثنى، بعد موت أبى عبيد الثقفى. ثم اشتركت فى وقعة الجمل، ودافعت دفاع الأبطال عن السيدة عائشة، وفقدوا فيها ألف رجل.

ثم استقروا بالبصرة، وقاموا بدور كبير فى الاضطرابات المتكررة التى قامت بهذه المدينة. فعارضوا المختار الثقفى، واشتركوا فى حروب الخوارج. وعندما قام سلم بن قتيبة فى البصرة عام ١٣٢ هـ يدعو للأمويين، واستولى عليها، عاونه بنو ضبة. ثم اشتركوا أيضاً فى حملات عباس بن عمرو الغنوى

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، مادة «ضبة».

على القرامطة فى عام ٢٨٧ هـ ، فقتلهم القرامطة شر قتلة ومن ضبة جماعة قليلة هاجرت إلى الأندلس .

وبنو ضبة من القبائل التى اعتمدت على نفسها ، ولم تحالف غيرها من القبائل لقوتها وشجاعتها ؛ فهى من الجمرات الثلاث . ولكنها لم تعد من الجمرات بعد أن حالفت الرباب . وتنسب إلى ضبة بن أد ، أبى القبيلة عدة أقوال ، جرت مجرى الأمثال .

ولم يذكر المقريزى بنى ضبة بين قبائل العرب التى هاجرت إلى مصر . وبحثت كثيرا فى التواريخ المصرية ، فلم أجد ذكرا لها . ولكننا — برغم ذلك — نعرف واليا مصريا من هذه القبيلة ، هو عنبسة بن إسحاق بن شمر الضبي الهروى ، ولى مصر منذ عام ٢٣٨هـ إلى ٢٤٢ هـ . ونعرف أيضا واليا من موالى ضبة ، هو السرى بن الحكم بن يوسف ، الذى ولى مصر عدة مرات فى عهد المأمون . وقد دخل السرى إلى مصر فى أيام الرشيد من جند الليث بن الفضل[1] الذى ولى مصر عام ١٨٣ هـ . وإذن فالمرجح أن هجرة أبى الشاعر أوجده هجرة خاصة ، لم تشمل غير أسرته ، ولذلك يتعذر معرفة زمانها ، ولعلها كانت بعد وقعة القرامطة بهم .

ويذكر ابن خلكان أمرا يلفت الأنظار ؛ إذ صرح بأن مولد الشاعر بتنيس ، وأن فى لسانه عجمة ، ويقال له : العاطس[2] . ولا ندرى أيريد بالعجمة حبسة فى اللسان من آفة أو عيب لسانى ، أم عدم قدرة على إخراج الحروف العربية من مخارجها الصحيحة ، من سكنى أسرته الأهواز . فإذا كان الأمر الأول ، لم يكن هناك تعارض ، أما إذا كان الأمر الثانى فلعل ما نستطيع أن ندفع به التعارض ، أنه ورث هذه العجمة عن أبيه ، أو أخذها من حياته مع أسرته ، ودل هذا على قرب عهدهم بالهجرة إلى مصر .

وقد لمع من بنى ضبة عدة أفراد فى العصور الإسلامية ، وميدانهم اللغة والأدب . نذكر منهم يونس بن حبيب الضبي بالولاء ، والمفضل الضبي ، والصنوبرى الشاعر المشهور . ولعل فى هذا ما يوحى بميل هذه القبيلة إلى اللغويات والأدبيات ، وخاصة فى العصور الإسلامية .

(١) خطط المقريزى ١ : ١٧٨ . (٢) وفيات الأعيان ١ : ٢٠١ .

آل وكيع

أسرة الشاعر

لم تذكر المراجع التى اطلعت عليها عن ابن وكيع وأسرته غير قليل من الأخبار لا يغنى شيئاً، وأقل منها غناء ما يخرج به المرء من شعره الباقى. وأكثر ما وجدته فى وفيات الأعيان، وعنه نقل الباقون، وهاك ما قاله ابن خلكان عن جده وعنه، مع بعض إيضاحات[١]:

وكيع، بفتح الواو وكسر الكاف، معناها شديد متين، ولقب بها جد شاعرنا أبو بكر محمد بن خلف. وكان وكيع فاضلا نبيلا فصيحا، من أهل القرآن والفقه والنحو والسير وأيام الناس وأخبارهم، وله مصنفات كثيرة، منها كتاب الطريق، وكتاب الشريف، وكتاب عدد آى القرآن والاختلاف فيه، وكتاب الرمى والنصال، وكتاب المكاييل والموازين. وله شعر كشعر العلماء. وتوفى يوم الأحد لست بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاث مئة ببغداد. وقد تولى قضاء الأهواز، نائبا عن عبدان الجواليقى الذى توفى فى نفس العام الذى توفى فيه وكيع، مدة من الوقت.

وذكر ابن النديم[٢] أن وكيعا كان يكتب أولا لأبى عمر محمد بن يوسف بن يعقوب القاضى. ونسب له من الكتب كتاب أخبار القضاة وتاريخهم وأحكامهم، وكتاب الأنواء[٣]، وكتاب المسافر، وكتاب التصرف والنقد والسكة، وكتاب البحث. ووصف كتاب الشريف بأنه يجرى مجرى كتاب المعارف لابن قتيبة، وكتاب الطريق بأنه يحتوى على أخبار البلدان ومسالك الطرق ولم يتمه، وكان يعرف أيضا باسم كتاب النواحى. ولكن اسم وكيع اختل فى الكتاب، فصار «أبو محمد بكر بن محمد بن خلف بن حيان بن صدقة»، واسمه فى الوفيات وغيره «أبو بكر محمد بن خلف».

---

(١) وفيات الأعيان ١ : ٢٠١.

(٢) الفهرست ١١٤.

(٣) انظر أيضا ٨٨.

الشـــاعر

أما شاعرنا فاسمه أبو محمد الحسن بن على بن أحمد بن محمد بن خلف . . ولم نستطع أن نصل إلى شيء عن أبيه على ، أو جده أحمد وقال فيه الثعالبي[1] : « شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع فى إبانه ، على أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد فى أوانه ، وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام » . وقال ابن خلكان : « وله ديوان شعر جيد ، وله كتاب بين فيه سرقات أبى الطيب المتنبى، سماه المنصف. . وكانت وفاته يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة بمدينة تنيس، ودفن فى المقبرة الكبرى ، فى القبة التى بنيت له بها ، رحمه الله تعالى » .

ويدل شعره على أنه كان على حظ كبير من الظرف وخفة الروح ، كما يدل إكبابه على الخمر على أنه كان على حظ من اليسار . ولكن الخمر — فيما يبدو — كانت تستنفد كثيرا من ماله ، فتراه يشكو أن الشتاء يحتاج إلى كثير من النفقات . ويجعل الإنسان يؤثر الكسل ، ويبغض العمل ، والصيف يمزق الجديد من الثياب والقديم ، أو يسرع إليها بالاتساخ .

(١) يتيمة الدهر ١ : ٣١٧ .

شـــعر ابن وكيع

جمع شعر ابن وكيع فى ديوان ، ذكره ابن خلكان من أهل القرن السابع ، ورجع إليه عبد القادر البغدادى فى القرن الحادى عشر ، فى أثناء تأليفه خزانة الأدب ، نص على ذلك فى مقدمته[1] . ولا ندرى لهذا الديوان وجودا اليوم . وقد دعانى هذا — بعد أن قرأت بعض شعر ابن وكيع فأعجبت به أيما إعجاب — إلى محاولة جمع مابقى من هذا الشعر ، وترتيبه ، وضم بعضه إلى بعض فى كتاب واحد . فتتبعته فى مظانه ، وتصفحت كثيرا من الموسوعات والكتب الأدبية العامة ، والتاريخية ، وما إليها فخرجت من هذه الجولة بما دونته فى هذا الكتاب . وهو قدر لابأس به ، يبلغ ٨٣ قصيدة ومقطوعة ، منها الطويل الذى يشغل صفحات ، والقصير الذى لايتعدى البيتين .

وإن قارىء هذا الديوان لا شك منته إلى النتيجة التى انتهيت إليها ، وهى أن ابن وكيع فى الأدب المصرى : « شاعر الزهر والخمر » .

فهذان الفنان قد غلبا على شعره كله ، فإذا أضفت إليهما الغزل ، لم يبق إلا بعض مقطوعات قصيرة ، فى الهجاء والنصح . وإذن فشعر ابن وكيع يجرى فى ثلاثة أنهار زاخرة ، هى وصف الربيع ، والخمر ، والغزل ، وجدولين تكاد العين لاتلتفت إليهما ، هما الهجاء والنصح .

الزّهـــريات

يشغل وصف الربيع والأزهار ٢٠ قصيدة ومقطوعة ، إلى جانب قصيدة طويلة تصف الفصول الأربعة جميعا . وتؤكد هذه القصيدة الأخيرة ما يحسه قارىء الديوان ، من غرام الشاعر بالربيع وتعلقه الشديد بما يبثه فى الكون

(١) ١ : ١٠ .

من جمال ، حتى لايرى لغيره من الفصول فضلا أو ميزة . ولقد رمى كلا منها بأسوأ الصفات ، فالصيف لعنة الله عليه : حر وعرق ووسخ وحشرات وأمراض ، والخريف معروف بكل سوءة : آفات ، وعدم استقرار بين حر وبرد ، وأرض عارية من النبت ، بل هو من طبع الموت ؛ والشتاء غمة غماء : رياح وأمطار وبرد وعواصف وكسل وبراغيث ، فلو لقيه على صورة إنسان لقتله ؛ وجميع هذه الفصول الثلاثة لايستطيع الشراب فيها ، أولا يستسيغه ، وذلك أمر له المكانة الأولى عند الشاعر .

أما الربيع . . فحسن الجميع ، معتدل فى كل شىء ، فتنة للألباب ، بل هو الحظ الحسن يأتى ضاحكا بعد طول صدود . ومهما أسرفت فى وصفه فلن توفيه حقه ، ولو شربت بطيبه طيب الجنان لكنت رابحا .

وإذا أراد الدارس أن يتتبع الصور التى رسمها الشاعر للربيع فى قصائده المختلفة ، وأحب أن يجمعها بعضها إلى جوار بعض ، ليؤلف منها معرضاً فنيا ، لخرج بمجموعة من الصور الرائعة : فيها الأضواء والألوان ، وفيها الحركة والرائحة . وفيها الحياة والكمال .

فجميع نواحى الربيع مصورة بكل دقة فى معرض ابن وكيع ، الصور العامة التى تعطى إيحاءات الربيع كله ولا تقف عند منظر بعينه ،أوموضع بذاته ، فالدنيا عروس تعرض ما لديها من مختلف الأثواب ، والأرض عروس تتحلى بما لديها من درر ، والرياض عرائس تتمايل متبخترة ، والنبات الأخضر فى جمال السماء ، أو هو وشى منظم ، وشى يتمتع به النظر ، ولا يجسر المرء على ابتذاله فى اللبس ، وشى لايسمو المرء إلى وصفه مهما أوتى من بلاغة ، والمطر — إن سقط — إنما هو بكاء السماء عشقا وشوقا للربيع .

والطير . . صافية الصفير ، تغرد بمهارة غناء لا تصل الأفهام إلى إدراك معانيه ، ولكن السامعين مفتونون به ، مشوقون إليه ،غناء لايحتاج إلى آلات موسيقية كحاجة البشر . وإن هذا الغناء ليوحى للإنسان بالأفراح ، أوليذكره المغنى الأموى المشهور «معبدا» فى ألحانه التى طبقت الخافقين . وإنه ليذكر فى جماله وجمال الطير التى أصدرته بألوانها المختلفة ، جماعة من الجوارى تهيأن تزينا وتجملا وتدربا لإحدى حفلات الموسيقى .

والغدير تضطرب مياهه حين تهب به الرياح أو النسائم ، وتلقى عليه الشمس أشعتها الذهبية ، فتكسبه لونها وإشراقها ولألاءها ، فيبدو كالدرع المذهب المصقول .

ونهار الربيع له جماله ، كما لليل جماله . فالنهار أغر محجل ، مسفر عن بهجته ، متهلل الوجه مشرقه ، تضحك شمسه ، كأنها كأس من الذهب . والليل نسيمه عليل ، وبدره مشرق منير كأنه كأس البلور ، أو غرة الحسناء ، وجوزاؤه كالجارية الرومية الحسناء ، ترتدى حلة زرقاء ، وتتحلى بدرة بيضاء ، ونجومه المزهرة كاللؤلؤ المنثور فوق بساط بنفسجي .

والأشجار والنخيل كالقنا السندسية الأطراف ، أو الجند فى يوم الاستعراض ، علا بعضها الندى فبدت كقباب الزبرجد توجت باللؤلؤ المنظم والمفصل ، وأخرج بعضها ثماره فأشبه مكاحل الزمرد المقمعة بالذهب . وهذه أشجار السرو تتمايل فوق الجداول كأنها الجند يريدون أمراً من الأمور ، فشمروا عن سواعد الجد . وهذا هو طلع النخيل يبدو حين تكشف عنه ضاحكا مسروراً ، كأنما هو درج من الصندل ملىء بالكافور .

أما الأزهار فقد تسلطت عليها الأنوار ، فأشعت كالنجوم أو الجواهر الفائقة الحسن التى لا يستطاع لها تقدير ، وإن كانت (للأسف) غير باقية ، ولا خالدة ! وقد حاكى أصفرها وأبيضها الشمس والقمر ، أو الدراهم والدنانير ، بهجة وإشراقا .

ويستولى على نظر الشاعر بين هذه الأزهار والثمار ، زهرة بعد أخرى ، فيرسم لكل منها منظرا خاصا به . فالنرجس الريان ، كثغور الحسان أو مخانق الكافور ، ينظر بعينين باهتتين حائرتين ، ولكنه حين يرى الورد يبتسم فى فخر واستعلاء وإعجاب بنفسه ، متطاولا عليه ، قائلا : أتريد أن تكون كفؤا لى وأنت مثل الخد ، وأنا العين ، ومتى كان الخد للعين نظيراً ؟

والورد أحمر كأنما سكبت عليه الخمر ، فتركت عليه لونها ، أو كأنما هو خجل من النرجس المتطاول عليه أو مغيظ منه ، وإنه لشبيه بحسناء مزحت ، فاصطبغ وجهها حمرة خجلا ، أو بحسناء راودها بعض الفتيان فأبت وقد اكتسى وجهها بهذا اللون الوردى .

والشقيق ضاحك كمداهن العقيق ، ينازع الورد فضله ، أو هو فى حمرته وسواده عيون الرمّد . ولعل التوفيق خان الشاعر فى الصورة الأخيرة ، لأنها منفرة .

والصعترى أرق من أرجل النمل ، وأذكى من نفحة الزعفران ، ويشبه فى جماله ونظامه سطورا كتبهن كاتب جميل الخط ظريف البنان .

والمنثور جواهر مفرقة ، مختلفة الألوان ، تتمم صور الربيع ، وتهب له ما ينقصه من أصباغ ، ولو كان طويل العمر لتحلت به الملوك ، واتخذت منه خواتيمها .

والآس ، الذى ينشر رائحته الطيبة الذكية مع النسائم والرياح ، يحاكى فى لونه أصداغ الظباء الخالصة البياض ، وفى شكله آذان الخيل النوافر .

والبنفسج ، كأنه فيروزج أزرق يتيه على السماء ويفاخرها فى لونها الجميل ، أو ثاكل تبكى وحيدها وقد ارتدت عليه الحداد .

والبسباس ، والحماحم ، والسوسن ، والآذريون ، والبهار ، والكافور ، من الرياحين ذوات الرائحة الجميلة ، كل منها له صورته الخاصة .

ومن الثمار : الباقلاء يرنو زهره بطرف أغيد أكحل ، أو هو أحداق ظباء خائفة ، أو عيون حور ، أو خواتم من فضة فصوصها سوداء حبشية ، أو دراهم مضمخة بالمسك ، أو مداهن فضة بها آثار من المسك ، أو سوالف جوار حسان بيض .

والمشمش على الغصون المتمايلة كقباب مغشاة بالرياحين الخضراء المزينة بجلاجل من الذهب ، أو هو — وقد أضاء شهابه — جلاجل التبر فى قباب الزبرجد .

والنارنج كرات من العقيق ، أو دنانير .

والجلنار منه المزعفر والمعصفر ، يتوقد على الغصون الميد ، كأنه فصوص عقيق فى قبة من الزبرجد .

والأترنج كئوس من الذهب ذات مقابض من الحرير الأخضر ، والأترج يرتدى الغلائل الخفيفة .

والخشخاش جسم من الدر يرتدى قيصا من الزبرجد ، أو قدح من الزبرجد مغشى بالحرير الأخضر ، أو كرات ظهرت بالكيمخت .

والزيتون يشفى الأرواح ، أخضره زبرجد ، وأسوده سبج ، أو هو العيون الشهل الدعج .

وآخر ما يلفت نظره زهر الكتان يتمايل فى الضحى على أشجاره الميد ، كأنه مداهن التبر فى الزبرجد . وتلك هى الصورة الطبيعية الأخيرة فى معرض الربيع لابن وكيع ، ولكنها تؤدى إلى صورة أخرى يختلط فيها الربيع بأمر آخر ، هى صورة الشراب ، أو الخمر . فالربيع عند شاعرنا دعوة إلى الخمر ، ولا يكاد يتصوره أو يصوره فى شعره ، حتى يدعو أصحابه إلى النهوض إلى اللذة واللهو ، فلن يعنفهم أحد ما دام الربيع . واللـذة واللهو والسرور لا توجد إلا فى موضع واحد :

فانهض بنـا نحو السرور فإنه ما زال يسكن حانة الخمار

وإن الباحث يستطيع أن يقول إن ابن وكيع مرهف الحس بمواطن الجمال الطبيعى فى الربيع ، دقيق الملاحظة ، يستهويه المنظر العام فيرسمه ، ويسترعى أنظاره دقائقه وتفاصيله.فيفرد كلا منها بصورة خاصة . فتجمع من هذه الصور العامة والخاصة معرض كامل للربيع ، لا يكاد ينقصه شىء . وهو تصوير حى بالألوان يكاد الإنسان يعيش فيه . ولعل قارىء القصيدة رقم ٦٦ ، يحس ذلك الإحساس كله ، إذ لا يكاد يأخذ فى قراءتها ، حتى يشعر كأنما دخل روضة ناضرة ، يشم فيها الروائح الطيبـة المختلفة ، وتبهر أبصاره الألوان المتعددة ، وتتراءى أمامه الأضواء والظلال ، وتتمايل الغصون والأزهار . فلا عجب أن كان ابن وكيع :

« شاعر الزهر »

ويلاحظ الباحث أن بعض الصـور والأفكار تستولى على ابن وكيع فيكررها ، ولا يستطيع منها فكاكا. فالثرى يذيع أسرار المطر أو الربيع بإظهار الأزهار ، والدنيا أو الرياض عروس متبخترة ، تلبس وشيا تختلف ألوانه ،

والأزهار سريعة الذبول ، والغصون ميد . ويلاحظ أن الصور التى تثيرها رؤية الأزهار فى مخيلته تتكرر أحيانا ، وتنتزع من مورد واحد ، مثل منظر الجنود فى يوم العرض ، والمداهن ، والزمرد ، والعسجد ، والزبرجد ، والقباب ، والأكر ، والكئوس . ولولا اتساع المناظر وكثرة الصور لاتهم ابن وكيع بضيق الخيال .

يضاف إلى ذلك أن ابن وكيع يلتقى فى كثير من صوره بابن المعتز ، حتى عده بعض الباحثين من أتباعه أو مدرسته ، ويخيل إلى أن هذه الصور خاصة ووصف الزهريات عامة غلب فى أواخر القرن الثالث والرابع على الشعر العربى كله ، وفى جميع مواطنه .

وتتجلى براعة ابن وكيع فى الوصف ، فيما لا يتصل بالربيع أيضا . فلقد وصف الصباح فى عدة مقطوعات وصفا دقيقا ، لا يقل فى جماله عن أوصاف الربيع ، وندعه الآن إلى الكلام عن الصبوح عنده . ووصف المطر فى بيتين ، والفحم المشتعل فى آخرين . يظهر فيها جميعا روح ابن وكيع ، وميله إلى الإكثار من التشبيهات فالمطر المنهمر ، الذى أشعل الرعد بروقه ، يحاكى دموع المحب التى تزيد قلبه حرقة والتياعا . والفحم الأسود كالآبنوس أصبح حين اشتعل كأنما كسى بالذهب ، أو كأنه جارية كانت تلبس الحداد ، فخلعته وارتدت مصبغات العرائس . فابن وكيع من الشعراء الذين لا تكاد أعينهم تقع على منظر ما حتى يثير فى مخيلتهم مناظر أخرى كثيرة ، ثم يسجلون هذه المناظر جميعاً الحقيقى منها والخيالى أو المتوهم .

الخمريات

يشغل وصف الخمر قريبا من ١٩ قصيدة وقطعة ، إلى جانب بعض الإشارات فى قصائد أخرى . وابن وكيع مولع بالخمر ، يذكرها فى كل وقت ، ويغيظه ألا يستطيع شربها فى بعض الأوقات ، فيأخذ على الصيف مثلا أن الشراب فيه يورث الصداع ، وعلى الشتاء أن الإنسان لا يشرب الخمر فيه للذة ، بل للدفء ، وهو يريد اللذة وحدها ، ويصر حين يدعى على وجودها .

وذكر الشاعر الخمر بأسماء عدة ، كالسلافة والشمول والكميت والراح والمدام والقهوة ، وردد الأخير منها أكثر من مرة . وذكر اسماً آخر عنى به أبو نواس من قبل ، هو الحرام :

فقم فاسقنى ما حرموه فما أرى من العيش حلوا غير ماقيل : حرما

وقد أولع الشاعر بهذا الاسم ولعا شديدا ، وتلاعب به ، فمرة يطلب من الساقى أن يسقيه المحرم نصا وإجماعا،ويتجاوز عن المختلف فيه كالنبيذ ، ومرة يطلب منه أن يسقيه الحرام الذى يعد الصبر عنه حراما ، وما شاكل ذلك .

وعنى التنيسى بكثير من أوصاف الخمر ، فرددها فى المواضع الكثيرة من خمرياته ، وكان من هذه الأوصاف العام الذى يصف الإيحاء الذى تبثه الخمر فى نفسه ، والخاص الذى يعالج ناحية ما من نواحيها . ومن الأوصاف العامة التى خلعها عليها أنها تجل عن الوصف ، وتجمع جميع الأوطار ، ولم تبق شيئا لغيرها ، وأنها تحيى الأرواح .

أما الصفات الخاصة فعنى فيها بلون الخمر أكبر عناية . فالحمراء منها ذوب من العقيق ، أو كميت مسبوكة التبر ، والصفراء منها مزعفرة القميص ، أو نضار ، أو عسجد رقيق صاف ، أو ذوب من الذهب الإبريز . وحين تمزج بالماء تخلع قيص الشقيق الذى ترتديه وتلبس آخر من بهار ، أو تصير كميتا ذا لجام من الفضة . والألوان لها أهميتها البالغة عنده ، فما يكرهه فى الشتاء أنه يضطر إلى سد جميع المنافذ وإرخاء الستور والعيش فى الظلام ، فإذا ما أراد الشراب ، لم يتمتع برؤية لونه ، فنقصت لذته .

ويتصل بالألوان عنايته بضياء الخمر،وما ترسله من أشعة ، هى نار بلا لهب تضىء الظلام ، وتحكى القنديل فى الليل أو الضرام المشتعل لا أذى له حين تقع عليها الأبصار تنثنى من ضيائها .

ووجه أكبر عناية أيضا إلى الحرب بينها وبين الهموم ، فهى ذات ثأر عندها دائمة الطلب له ، ولا ترعى للأسى ذماما ولا حرمة ، وإنما تقتله بسهامها . والهموم إذا رأتها وقفت لها تجلة واحتراما ، فلا يجديها ذلك نفعا ، فتهرب باحثة عن ملجأ يعصمها ، وليس من حصن حصين يستطيع ذلك . ولذلك

ترى كل صدر ضيق يرحب معها ، وكل شارب لها يرضى عن الأقدار ، وقد كان ساخطا عليها فى صحوه . فهى إذا ما استقرت فى أحشاء شاربها لم يستقر به مكان ، وإذا مست حجرا أصابته خفة ، وأحكامها كأحكام الدهر فى الأحرار .

ثم عنى أيضا بوصفها بالعتق وقدم العهد ، وخفة الحركة فى جسم الإنسان كأنها القدر ، وبالصفاء والرقة كأنها شعر جميل بثينة أو عمر بن أبى ربيعة ، وبالحلاوة كأنها كبت العدو ورغم أنف العذول ، أو فراق العدو ، أو لقاء الصديق ، حتى لا يروى منها شاربها ، أو كأنها عروس فى حلل متوجة . أو عروس كرم تختال فى حلل صفر . وأخيرا أشار إلى طيب رائحتها ، وإلى جودتها إذ هى مجلوبة من قطربل أو البردان . وقد اطردت عنايته بهذه الأوصاف بحسب ترتيبها السابق ، فأخذت فى القلة حتى اقتصرت على الإشارة الواحدة .

وكان لمزج الخمر بالماء سحر خاص فى روح الشاعر ، فأكثر من وصفه وتناوله ، فالخمر تصفر خوف المزج ، ويغضبها الماء حين يخالطها فتزبد ، وكأنما الماء طوقها بعقد من الدر ، أو كأنه وضع على رأسها إكليلا ، وإنها لتحكى مع حبابها الذى علاها كواكب الدر فى سماء العقيق ، أو كميتا ذا لجام من فضة .

وشاعرنا تشتد رغبته فى الشراب صباحا ، فأكثر أوصافه للصبوح ، ولا ذكر للغبوق فى شعره . وقد جعله هذا يفتن فى وصف الصباح ، ويرسم له عدة مناظر . فهذه عساكر الليل تولى الأدبار أمام جيش الصباح ، والفجر يسخر من انهزام الليل ، وهذا هو الفجر يشبه وقد أحاط به الظلام ملك الروم بين أبناء حام . وهذا هو الصباح يبدو مرتديا ما يلى من أثواب الليل ، أو يتعرى من قميص الغلس المظلم ، ويرتدى حلة فضية لا زالت بها آثار من سواد الليل ، أو يسل سيفه من غمد الدجى ، ويطارد الجوزاء كالهلال ، أو كصولجان الملك يدنو من كرة ذهبية . وهذه هى الجوزاء فى الأفق تحاكى منطقة من الذهب تعلو قباء أزرق . وهذه الطيور تملأ الدنيا تغريدا .

ويطيب له الشراب أيضا حين يأتى الربيع ، ويبتسم الورد ، ويمر النسيم على الخليج ، فتضطرب مياهه ويهتز النبات والزرع متمايلا متبخترا ، أو حين يبتسم الغمام ، ويلبس الجو حلة مسكية اللون تطرزها البروق بالذهب .

ولا يمتنع عن الشراب فى الظلام ، فقد رسم فى بيتين (رقم ٢٩) لوحة رائعة ، لشارب فى الظلام ، وفق فى استعمال الظلال والأضواء والألوان فيها كل توفيق . فالمنظر كله ظلال سوداء ، يخترقها شعاعان من الضوء صادران من ثغر الشارب وحباب الخمر ، وشعاعان آخران أحمران من شفتى الحبيب وضياء الخمر .

ولم يعن الشاعر بأماكن شربه كما عنى بأوقاته ، فلم يذكرها إلا مرتين ، وطلب أن تكون روضة عنبرية ، أو تحت ظلال الكرم على وجه المعشوق .

ولم تفته العناية بالكئوس ، فهى رقيقة صافية شفافة ، تكاد تطير من أنفاس حاملها ، فى صورة البدور ، أو كأنها وقد ملئت بالخمر عين الديك ، وإن النظر ليرتاح إليها . وتبدو أهمية الكئوس عنده ، فى إجابته دعوة أحد أصدقائه ، إذ أوصاه بها ، وأطال له فى وصف ما يحبه فيها (رقم ٦٨) .

ولا شك أن اللذة تتم حين يكون إلى جانب الخمر النقل ، المزة ، ، وهى — فى المرة الوحيدة التى ذكرها الشاعر — خروف مشوى ، وبصل مدور كأن قشره الرقيق غلائل تلبسها جوار بيض حسان رطاب من بنات الروم .

وعنى ابن وكيع عناية كبيرة بمجالس الشرب ، فوصف حاضريها ورسم صورا عدة لكل فريق منهم . وأول من عنى به الساقى ، وقد خلع عليه كل صفات الجمال . فهو جامع الحسن ، وكل حسن مستعار منه ، يسبى العقول ، وتهزم جيوش حسنه الصبر . إنه ذو جمال يجل عن الوصف ، فهو ليس بالبشر .

وهو ظبى ، وشادن ، وجؤذر ، وقمر منير ، بل أفضل لأنه عاقل ناطق ، وغصن بان بل فضل الغصون ، لأنها من غرسنا وهو من غرس البارى . وهو أغيد ، غرير ، يحج إليه الدهر كله ، ويحلو فى حبه التصابى ، ويثقل الملام ، ولا يحسن الوقار ، ويغار عليه من نفسه .

وأمر آخر له أهميته ، ردده الشاعر كثيرا ، وهو أن هذا الساقى نصرانى يلبس الزنار ، ويشكك فى الدين،لأنه من الحور،ومن ذوى الجمال الذى لايعقل أن يفسده الله بإدخاله النار .

تلك هى أوصافه العامة .

أما أوصافه الجسدية ، فهو ربعة بين الطول والقصر،صدغه أبيض مشرب بحمرة كالآس أشعلت حوله النار ، وعينه حوراء ، والحاظه سقيمة ترى سهاما، كأنها قوس القدر لا تخطىء الهدف أبدا ، وخصره دقيق لا يبين معه الزنار ، فكأنه لا يلبسه ، أو لولا هذا الزنار الذى يمسك خصره لانقصف ، وسرته محشوة بالغالية .

وجملة القول فى هـذا الساقى أنه جمع كل حسن ، فمن يفضل المرأة عليه لا يفهم فى الجمال شيئا ، بل هو حمار .

وقد شذ ابن وكيع ذات مرة (رقم ٦٠) ، فجعل الساقى جارية لا غلاما ، ولـكنه لم يعن بها كثيرا ، واكتفى بوصفها بجمال العينين ودقة الخصر .

ووصف الشاعر أيضا ندماءه على الشرب ، ونعتهم بأنهم كرام وخير من يصحبه الكرام ، أطاعوا اللهو ، عليمون بالآثام ، مفضلون للغلمان على النساء تظرفا . لا يروى جليسهم من حديثهم ، وإن كان غيرهم يكثر الضجة ويطيل الحديث المملول حين تستولى عليه الخمر . أما هو ، فإمام الشاربين ، فى هذا المجلس .

وأخيرا لا يتم مجلس الخمر إلا بالغناء ، ومغنيهم فطن مطرب ، يستخف الحلماء ، لا يخرج على الأصول الموسيقية ، ولا يتنافر مع الزامر أبدا . وقد يستعينون بمغنية بدلا من المغنى ، ومغنيتهم حاذقة بألوان الغناء المختلفة ، لا تكاد تأخذ فى العزف حتى ينسى السامعون همومهم .

ذلك هو العيش فى نظر الشاعر ، وإنه لمنظر أشهى من الجنة ، فلا تبع العاجلة بالآجلة ، فالعيش خلس . وعنده أن :

أسنى الأمانى كلها   وأجل منها ما ينال
كأس ومسمعة وإخـــوان تحادثهم ومال

فدع التزمت والتجمل لغيرك ، فالعيش لا يطيب للمتزمتين . ولا تقبل من الرشيد نصحه ولا عذله ، واقبل ما يرسمه لك أخو الغواية ، ولا يشغلنك عن اللهو الأباطيل . فاللوم لا يغنيك شيئا ، وعام السرور يوم ، ويوم الهموم عام ، والعقل مكدر للعيش ، والجهل ينبوع المسرة ، وما فاز باللذة إلا الجسور . ولا تقنط فعفو الله مأمول .

تلك هي خمريات ابن وكيع : مناظر دقيقة كاملة ، تصور الخمر فى أحوالها المختلفة ، وترسم مجالسها رسماً دقيقا ناطقا . فالشاعر فيها كما فى الزهريات ، مصور مرهف الحس دقيق الملاحظة، لا يكاد يفوته شيء . وهو فوق ذلك كله محب لتسجيل كل ما يقع تحت بصره ، قادر على منح ما يرسمه الأضواء والظلال والحركة والألوان ، منحه الحياة .

وقد يعجب الباحث بكل هذه المناظر ، ويعجب بروح الشاعر التى تتجلى فيها جميعها . ولكنه إلى جانب ذلك يلاحظ أن الشاعر اقتصر على الوصف الظاهرى ، ولم يستبطن نفسه ، ولا أنفس غيره من الشاربين ، ولا وصف مشاعره فى أثناء مجالس الشراب ، ولا مشاعر أصدقائه وندمائه ، فالناحية النفسية مغلقة أمامه . ويلاحظ أيضا أن الشاعر يستعير بعض أفكاره وصوره من غيره ، وخاصة من أبى نواس ، شاعر الخمر فى الأدب العربى على الإطلاق ، حتى إنه ليتأثره فى ثورته على الوقوف على الأطلال ، والبكاء على آثارها ، ووصف الصحارى والفيافى . ولكن هذا كله لا يسلب الشاعر حقه فى أن يكون فى الشعر المصرى :

« شاعر الخمر »

الغـــزل

يشغل الغزل قريبا من ٣٠ قصيدة ومقطوعة غير ما ورد فى الخمريات من التغزل بالسقاة . وقد غلب على غزل ابن وكيع ما غلب على غزل غيره من شعراء عصره ، أعنى الغزل بالمذكر . ولـكن شاعرنا يمتاز عن كثير منهم بأن الغلام الذى يتغزل فيه نصرانى ، ولذلك يستمد الشاعر من هذه الحقيقة كثيرا من الأفكار . ويبين ذلك بأجلى وضوح فى مربعته الطويلة (١٧) التى أعجب بها القدماء أيما إعجاب ، وإننا لا نقل عنهم اليوم إعجابا بها . فقد بين فيها — بعد أن وصف حاله وحال محبوبه — أن هـذا الحبيب يريد قتله ، ثم حاجه فى عدم إباحة القتل فى الأديان المختلفة ، وخاصة المسيحية . وشرح له أنه لم يرد مثل هذه الإباحة عن نبى النصرانية ، ولم ينقلها أحد من تلاميذه الأربعة أصحاب الأناجيل ، ولا وردت فى العهد القديم ولا الزبور ، ثم ذهب يشكوه إلى رجال الدين المسيحى ، مبتدئا بالأقل منهم مرتبة حتى أعلاهم . وهى قصيدة تـكشف عمـا تحلى به شاعرنا من خفة روح ، تجعل قارئها يحكم بأنها لشاعر مصرى ، ولو لم يكن يعرف أنها لابن وكيع .

ولا يختلف غزل ابن وكيع عن غزل غيره فى معالمه الكبرى ، وإنما قد يختلف فى بعض التفاصيل . وقد عالج فى غزله وصف حبيبه وصـفا عاما ، ثم وصفا خاصا : جسديا وخلقيا ، ورسم صورا لبعض المواقف الخاصة بينهما، وحاله فى الحب ، وما يلاقيه من العذال وموقفه منهم . وأطلق فى تضاعيف هذه الصور كثيرا من الأبيات التى تحمل أقوالا سائرة ، يصلح كثير منها لأن يكون أمثالا ترددها الألسنة .

أما الأوصاف العامة التى وهبها لمن تغزل فيه : فإنه غزال كحيل جامع لـكل حسن ، وكل حسن مختصر منـه ، وأنه لا قرين له ، بل جوهرى الأوصاف ، لا يحده الشعر ، وأن أحداً لا يستطيع أن يعذله على حبه ، لأن كل الآراء مجمعة على جماله ، وكل القلوب تهفو لحبه،فإبليس مستبشر به ، لأنه عارف أنه يتمكن عن طريقه من إغواء البشر . وصـــفة أخرى أبرزها ابن وكيع ، ولها دلالتها عليه ، تلك هى خفة الروح :

بخفة الروح احتوى صلاحى ... فصرت لا أرغب فى الفلاح
والشكل والخفة فى الأرواح ... أملح ما يعشق فى الملاح
من كان يعشق منظراً بلا خبر ... فما له أوفق من عشق القمر

فهو فى هذه الصفة ابن بيئته : مصر .

وعنى فى أوصافه الجسدية باعتدال القامة التى تنشق لها القلوب ، ودقة الخصر ، وامتلاء الأرداف،فهو أهيف بجدول ،تميل إليه القلوب الذكية ، على حين يميل الحمقى إلى الضخام السمان . ثم عنى بوجهه وما حوى ، فهو حسن الوجه كشعره فيه ، يطيب فيه ارتكاب الذنوب ، وهو قمر أو بدر يؤنسه حين يزوره ليلا ، فتغفر له محاسنه ما ارتكبه فى حق عاشقه من ذنوب ، حتى إنه ليطرب له وهو قاتله . وطرفه كحيل سقيم أسقم الشاعر ، أحور حيره ، صارم المقلة ، قاتل الألحاظ . وخده رقيق أسيل مضىء تستخلفه الشمس ليلا حين تغيب . ووجنتاه جمر يحرق المحب ولا ينال المحبوب بأذى . وفه عقيق أحمر ، وثناياه لؤلؤ ، وريقه خمر ، أروى ما يكون منها الإنسان أعطش ما يكون ، وكلما ازداد منها شربا ازداد عطشا . وعذاره يعتذر عنه فى حبه . وشاربه لا يزال أخضر على وشك الظهور كأنه من زبرجد .

وأما صفاته الخلقية فأهمها حلاوة الحديث ، تتلقاه القلوب تلقى المخمور بردالنسيم ، وكأنه عودة الصحة إلى من يئس منها ؛ والإسراف والجور ، حتى جار على نفسه وأسرف على الإسراف ذاته ؛ والبخل وضعف العهد وكذب الوعد . وابن وكيع محب لذلك ، لأنه يحب الحبيب البخيل ، فالبخل يجمل بالملاح وإن كره من غيرهم ؛ وراض بوعوده الكاذبة ، لأن القليل الذى يناله منه غير قليل ؛ وباق على وده برغم فراقه ؛ راج وصله كما ترجو الأرض الممحلة المطر ؛ وإن عتب عليه الهجر أحيانا .

ورسم ابن وكيع صورا لبعض المواقف التى مرت بينه وبين حبيبه ، نجد فيها الخفة ، واللطف ، والظرف ، والجمال ؛ فهى أقرب ما يكون إلى ما يسمى بالاسكتشات فى عالم الرسم ، فهى تخطيطات بقلم الرصاص أو الفحم .

ومن هذه الصور العابرة منظران لزيارتين ليليتين ، قام بهما الحبيب لابن وكيع (١٢ ، ٧١) . فجمل الحبيب فيهما قرآ يشق الظلام فى طريقه إليه ، ليؤنسه بحديثه الحلو وينادمه ، فيبعث فى نفسه النشوة والطرب ، كالشيخ حين يذكر بأيام الشباب

ومنها منظران ضاحكان مع عذول ينهاه عن الحب ، ثم يرى الحبيب ولم يكن يعرفه ، فيأمره بحب مثله ، أو يسأله عنه ، فيعرفه أنه من يحبه ، فيعتذر له ، ويدرك أنه جدير بالحب (٢٢ ، ٨٠) .

ومنظر للحبيب وقد زاره المرض فازداد جماله ، حتى إن الأصحاء ليودون أن يصيبهم مرضه، ليزداد جمالهم . (٧٣) ومنظر آخر لقبلة الذمن الصبوح فى يوم تكاثف غمامه ، ومن مر النسيم على الخمور ، اختلسها من الحبيب (٢٧). وثالث يصوره وهو شامت بقلبه الذى نهاه عن الحب فلم يزدجر، وأخيرا وقع وذل (٧٩) . وآخرها يمثل سلوته بسبب الجفاء (٤٩) .

ومن أجمل المناظر دلالة على خفة روح شاعرنا وظرفه : الدعوتان اللتان أنزلهما على حبيبه ، والأقسام الثلاثة التى حلف فيها به وبمحاسنه . فالدعوة الأولى كان سببها ما يظهره الحبيب من مغالطة ، إذ يدعى عدم سماعه بمرضه وبقسم على ذلك ، فيدعو عليه . . ولكن بالرحمة (٦٧) . أما الدعوة الثانية فألطف وأطرف ، إذ يدعو عليه إن كان يعلم ما حل به ولا يأبه لذلك . . أن يصير قلبه عاشقا مثل قلبه . . ثم يتغلب عليه حبه ، فيتمنى له العيش الطيب تفديه نفس الشاعر وماله (٥٨) .

أما الأقسام الثلاثة فلون جديد طريف من الأقسام، يتسم بالعذوبة والحلاوة والظرف ، وهما الغزل حق الغزل . فقد أراد أن يقسم أن الراح تذهب الهم ، فلم يجد عنده أعز من القسم بعين الحبيب تعده بالوصل خوف الرقيب ، والقبلة المختلسة من خده ، والغناء الحلو فى القصيدة الفصيحة الجيدة (١١) . وأراد أن يلتمس منه صفحا عن ذنوبه،أو عقوبة بغير الهجر الذى لا يستطيع احتماله ، فاستحلفه بما فى عينيه من فتون وفتور وسحر ، وبعذاره الذى خلع عذاره ، وبثغره المبتسم اللؤلئى الثنايا ، الخمرى الريق (٣٢) . وأراد أن يقسم

أن الصبر لا يحمل عنه ، فكان قسمه بوجه الحبيب يبدى صفحة السيف الصقيل ، وشعره الأسود على خده الأسيل ، وعيونه القاتلة .

ووصف الشاعر نفسه وما تقلب عليه من أحوال بإزاء هذا الحبيب . فبين أن عينه هى التى أوقعت فؤاده فى الهوى ، وأنه كان مسوقا إلى الهوى لا مختارا فيه ، لأن الهوى قدر مكتوب، وصاحبه فى ظلام حالك لا يدرى معه طريقا . وقد هجر جميع من يعرفهم سواه برغم أنه لا ينال منه شيئا ، إذ أن نفسه تطرب لرؤيته ولقربه . ولكن ذلك كله لم يجده نفعاً ، فلا زال حبيبه ماضيا على بخله ، مستغنيا عنه ، وهو لا يستطيع الاستغناء عنه . ولذلك تراه أكل الناس حزنا ، ذا شوق مفرط ، وصبر عليل،وعزم هالك ، دائم السهاد ، كأنما علقت عيناه بالنجوم ، يضحك للأعداء وضميره يبكى ، وقد أهزله كل ذلك حتى صار غير مرئى ، فلو أتاه الموت يطلبه ما استطاع لرؤيته سبيلا .

وهو برغم ذلك كله يحب هذا العذاب ، ويطلب من الحبيب أن يزيد منه إن كان يجد فيه راحة ، بل يبلغه أنه لو عرف أنه يحب سفك دمه لفعل ؛ ولا يرى فى كل ذلك عارا ، فليست ذلة الحب بعار . ولكنه يستعطفه أحياناً أن يجود عليه بالوصل ، ويثور أحياناً على ذلة التشكى ويأباها . ومهما كانت حاله ، فإنه — على خوفه منه القتل — لن يتوب عنه ، لأنه يرى الجنون فيه أحلى من الخمر .

أما العذال فيضللونه ، ويزعمون أن الصبر عن الحبيب صواب ، وأن طريق الصواب غير مجد نفعا ، ولذلك يهزأ بهم ، ويرى أن العقلاء يبرمون بهم ، ويكذبهم أحياناً ، فيعدهم ترك الهوى ، ثم لا يلبث أن يلتمس منهم عدم تصديقه ، وقد يلجئون أخيراً إلى إخافته من نار جهنم ، فيعترف لهم أنه يخافها فعلا مثلهم ، ولكنه ذو أمل فى مغفرة الله عريض،وأنه مقر بذنوبه،وحرام تعذيب المقر . ويصر على تجنب العفة وخلع العذار ، والاشتهار باللهو والغى ، فالعيش تهتك الأستار ، والعيش ركوب العار . فإن تنسك برهة عاد ثانية إلى غيه .

وأما أقواله السائرة فكان يأتى بها فى تضاعيف غزله لتؤيد أقواله وتدعمها ، وتعطيها أضواء وظلالا حية ، ولكنها صالحة أن تكون أمثالا ، ومنها ما هو أمثال قديمة فعلا ، مثل قوله : وإنما عز لما عز مطلبه ، وشاهد عقل الفتى اختياره . وكل هذه الأقوال غزلية غرامية بالطبع ، وإن أفادت فى غير ذلك ، وما هو ذا يقول : إنما يحمل البخل بالملاح ، وقد تمتع الآمال وهى كواذب،و :

كم قاطع للوصل يؤمن وده   ومواصل بوداده يرتاب

وجملة القول فى غزل ابن وكيع : أنه صور للمحبوب وللمحب ، ولما يقع بينهما من مواقف ، وللعذال وما يحدث بينهم وبين المحبين ، صورا لا تختلف كثيراً عما تجده عند غيره من الشعراء . وأكثر ما تمتاز به الخفة والظرف واللطف التى تجرى فيها ، وتلك المواقف المرحة التى يرسم لها الشاعر الصور الخاطفة . وتنفرد بالأسلوب الشعرى الذى يصوغها فيه ، ويظهر فيه التلاعب الفكرى واللفظى .

ولكن الصور التى رسمها ابن وكيع لا تمثل إلا الأحوال الخارجية أو الظاهرة من الحب ، أما التعمق فى المشاعر والانفعالات فنفتقده عنده ، كما افتقدناه فى الخمريات . بل إننا نفتقد كثيراً من أوصاف الحبيب الخلقية ، على الرغم من تعرض الشاعر لهذه الناحية . وقد لا أتهم بالغلو إذا قلت إن الأوصاف الجسدية ينقصها كثير من النواحى أيضا ، إذ لم يعن فيها إلا بالوجه وما فيه والقامة . فالصورة بعد ذلك باهتة مبتورة .

الهجاء

يشغل الهجاء من شعر ابن وكيع ٨ مقطوعات : هجا فى اثنتين منها نحويا متشاعرا (٣٧،٧) ، وفى أخريين لئيما نماما مرة (٣٠) ولئيما بخيلا أخرى (٨٠) ، وفى واحدة أحد الثقلاء ، وفى أخرى محدث نعمة ، وفى ثالثة ديوثا ، وفى رابعة منافقين . فهجاؤه كله شخصى ، وليس فيه إقذاع ولا فحش سوى المقطوعة التى اتهم فيها المهجو بعدم الغيرة .

وكل هذه المقطوعات قصير، لا يتعدى البيتين أو الثلاثة، غير ما قاله فى محدث النعمة وعديم الغيرة . ولا تمتاز هذه القطع القصيرة بشىء غير أننا نجد فى تصويره للئيم البخيل النمام ما وجدناه فى الفنون السابقة من ميل الشاعر إلى التشبيه ، وفى هجاء الثقيل شيئاً من خفة الروح .

أما المقطوعتان الطويلتان بعض الشىء ، فأولاهما فى ستة أبيات ، وهى التى وصف فيها محدث النعمة . وقد رماه بزهو الملوك ، ولؤم التجار ، وسكر الغنى ، والبخل ، والبرود ، وصفاقة الوجه ، وطلب منه الرجوع إلى الفقر ، فقد أفسدته الثروة . ورسم له هذه الصورة البغيضة . وألفها من مناظر جزئية، فيها كثير من الدلالات على روح المؤلف . فها هو ذا يتخذ من الخمر صورة المخمور السادر فى غيه ، وها هو ذا يلبسه قناع عار ، مما يذكر بأستار العار التى هتكها واشتهر بها فى شربه الخمر ، وها هو ذا أيضاً يرسم الصور ليرمز إلى ما يريد أن يرميه به من نعوت سيئة ، مثل الصفاقة .

والثانية فى سبعة أبيات ، واختط فيها طريقا جديدة عليه فى الهجاء . فلم يتهم المهجو فيها بشىء ، اللهم إلا الكرم المفرط . فأخذ يرسم صورة نزوله عند هذا « السيد » ، وقضائه الليل عنده ، وما أغدقه عليه من كرم تبين أنه يغدقه على جميع ضيوفه ، فهى قصة مصورة للكرم ، ولكنها تؤدى إلى هجاء لاذع ، إذ تظهر الرجل فى صورة من لا يغار على زوجتـه . ولولا لفظتان أو ثلاث فى المقطوعة، لكانت خالية من كل فحش فى التعبير ، وإن حوت كل فحش فى الفكرة .

النصائح

تشغل نصائح ابن وكيع وحكمه ست مقطوعات ، غير ما به منها فى الغزل وأشرت إليه . ويبدو أن إحدى هذه المقطوعات (٤٥) تتصل بالغزل والخمر فعلا ، إذ توصى بعدم طاعة نصح الرشيد ، والقبول من الغوى ، وترك الزهد فالعيش لا يطيب به . وهى فى بيتين يعتبران رواية أخرى لبيتين فى افتتاح قصيدة طويلة فى الخمر والغزل .

وتتصل إحداها بالزهد أيضا (٧٨) ، فينصح به بعد أن ينال المرء أمانيه ، أما وهو غير حاصل عليها فزهده شبيه بعفة العنين، الذى يمتنع عن النساء عجزا لا ورعا .

وثالثة يخيل إلى أنها ذات صلة بالهجاء (٦) ، أو بالأحرى بالمقطوعتين اللتين هجا فيهما النحوى الذى يتظاهر بإحسان الشعر ، إذ يحكم فيها بأن الإنسان يستطيع أن ينشر كراهيته بين الناس ، وذلك بأن يعبس فى وجوههم، ويعرب كلامه . فلعل هذه القطعة بقية قطعة فى هجاء هذا النحوى .

ورابعة بعدم حسد من تزايدت نعمته ، إذ أنه من سقوط النفس والهمة . وخامسة بعدم مجالسة الأردياء ومن لا يزن ، لأنهم كالثوب المصبوغ تنتقل صبغته إلى الجسد . والأخيرة بالسفر والتماس الغنى ، إذ فى ذلك خمس فوائد .

وخلاصة القول فى هذه الحكم والنصائح أنها إخوانية شخصية ، لا أهمية خاصة لها ، ولا ميزة للشاعر فيها .

فنه الشعرى

يضم شعر ابن وكيع مقطوعات لا تتجاوز البيتين ، ويضم قصائد تتجاوز مئة بيت ، وأخرى متوسطة بين خمسة عشرة وأربعين بيتا . ويدل هذا على أن الشاعر طويل النفس ، يستطيع أن يأتى بالقصيدة الطويلة ، التى لا يفقدها الطول شيئاً من قوتها ولا جودتها ، استطاعته الإتيان بالقصيدة المتوسطة أو القصيرة .

ويغلب على شعره جميعه الموسيقى العذبة الحلوة.فهو شعر هادىء، لم يعرف ثورة السخط أو العنف ، ولا مرارة الحرمان . حقا تتفاوت أوزانه بين طول جزل يوحى بالقوة ، وقصر راقص يوحى بالمرح . ولكن هذا التفاوت لا يخرج بالموسيقى من العذوبة إلى القوة المتدفقة الهادرة . وساعد على ذلك أن ألفاظه جميعا سهلة عذبة ، وعباراته تسير على النهج الطبيعى اليسير . وربما نرجع ذلك إلى الموضوعات التى عالجها من وصف للربيع والخمر ، وغزل لا نرى فيه

حرماناً لاذعا أو عاطفة ساخطة يائسة ؛ وربما نرجعه إلى الطبيعة المصرية الوادعة الهادئة فى ابن وكيع . وهذه الطبيعة المصرية هى التى أعطته بعض الألفاظ المستعملة فى مصر وحدها أو أكثر من غيرها ، مثل النخل الطارح ، والبلح المقمع ، وتندس وتستحلى الكسل ، وغيرها . وتحرر ابن وكيع من بعض النظم التقليدية ، فنظم مزدوجة ومربعة ، مما نوع الانغام الموسيقية عنده.

ويصطبغ تعبيره بالميل إلى التصوير والقصص . فهو لا يقتصر على إرسال الأحكام أو تقريرها فى صورة مباشرة ، بل كثيرا ما يتبعها بتشبيه أو تشبيهات تعتمد عليها ، فتهب لها قوة وحياة . فهو من شعراء التشبيه ، تجده منبثا فى جميع أرجاء شعره ، لا يكاد ينفصل بعضه عن بعض. وكثيرا ما يلجأ فى التعبير عن أفكاره إلى الإتيان بها فى صورة قصة ، كما نرى فى مربعته الغزلية ، وأرجوزته فى الفصول ، وكثير من زهرياته وغزلياته فهو ذو خيال حاضر ، بل وهم سريع الابتكار ، ما يكاد يرى منظراً حتى يربطه بآخر قريب منه . ربما تتكرر بعض الصور عنده ، ولكنه تكرر لا بد منه ، لأنها صور ملكت عليه لبه ، واستولت على حواسه .

ولعل هذا الوهم هو الذى دفعه إلى أنواع من المشاكلة نراها فى غزله ، يربط فيها بين أمور متباعدة لاشتراكها فى بعض الصفات . فيطلب إلى وصل الحبيب أن يصله بالقدر الذى يصله به صده ، وإلى خصره أن يكون فى ضعف عهده ؛ أو يربط بين صبره وخصر الحبيب لضعفهما ، وشعره ووجه الحبيب لحسنهما ، أو جسمه وطرف ذلك المحبوب فى السقم ، أو يقول :

ظبى سلوى عنه مثل جوده   خياله أكذب من موعوده
أجفانه أسقم من عهوده   أردافه أثقل من صدوده

وما شابه ذلك ، مما أكسب شعره عذوبة فى الموسيقى والصور .

وينتشر فى شعر ابن وكيع الطباق والمقابلة انتشارا واسع النطاق ، حتى إنى أستطيع أن أقول إنى لم أفتقده إلا فى قليل من المقطوعات الباقية من شعره . وعلى الرغم من هذا الانتشار ، يمر به القارىء دون أن يشعر به شعورا خاصا ، أو دون أن يحس أن فى هذا الموضع شيئاً من التعمد

أو التكلف لأمر من الأمور . فالطباق عنده يهب للشعر ألوانه وأصباغه خفية دون ظهور سافر قد يصدم العين . ولعل السبب فى ذلك أنه لا يأتى به تقابلا جليا فى لفظين مفردين ، بل يبثه فى البيت كله فى كثير من الأحيان ، يقول :

أناس إذا غابوا رمتك سهامهم   وخصك منهم فى الحضور التملق

ويقول فى الربيع :

وافى على أثر الشتاء كأنه   إقبال جد بعد أمر مدبر
فكأن ذلك كان وجه مهدد   وكأن هذا جاء وجه مبشر

ويبدو أن هذا الميل للطباق والمقابلة كان العامل الذى جعله يميل إلى المواقف الحرجة المتناقضة ، وإلى الأوقات التى تجتمع فيها أمور متباينة متنازعة . فتراه يعنى بموقف العذول الذى يبهت حين يرى جمال الحبيب فيرجع عن عذله ، أو يأمر بحبه ولا يدرى أنه الحبيب فعلا ، ويعنى بمحدث النعمة ، ويقابل بين ماضيه المعدم وحاضره الثرى ، ويلتفت إلى الحبيب الذى أصابه المرض فازداد جمالا ، أو حين زاره فى ظلام الليل ، فإذا بالظلام يخشع لسناه وينقلب ضياء ، وإلى مواقف الغزال بين الخمر والهموم . واستولى التقابل والتنافر وصور النزاع المتجلية فى الفجر بين النور والظلام على جميع مشاعره ، فأكثر من وصفها ، وأحب أن يحضرها فى نشوته ولذته .

وتناثرت فى أشعاره ألفاظ قليلة تنتسب إلى الجناس ، وأهمها عذار الحبيب ، الذى جعله يخلع عذاره ، وبسط له العذر فى الحب والعكوف على الغى . فقد أكثر من هذا القول ، حتى ما يكاد يرى العذار أو يجرى له ذكر إلا تنبه إليه ونبه عليه ، مما أفقده كثيراً من رونقه . ولم أجد له عدا ذلك غير ألفاظ قليلة ، مثل ما فى عينى الحبيب من فتون وفتور أقسم بهما ، وما تحلى به من هيف جعل قلبه يهفو إليه . فالجناس إذن غير ذى أهمية لدى الشاعر .

ولعلنا ، لو أحببنا أن نصور ابن وكيع الشاعر فى ختام هذا البحث السريع فى عبارة واحدة ، ما وجدنا أحسن تمثيلا له من عبارة : « شاعر الزهر والخمر » .

دكتور حسين نصار
كلية الآداب بجامعة القاهرة

٢١ جماد أول ١٣٧٢
٢٥ ينـــاير ١٩٥٣

شكر

أهدى جزيل شكرى إلى أستاذى « مصطفى السقا » الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، الذى تفضل بقراءة الكتاب ، وتصحيح كثير من أخطائه ، ومراجعة تجاربه فى المطبعة . وجدير بالشكر أصحاب مكتبة مصر ، ودار مصر للطباعة ، لإخراجهم الكتاب فى صورته الحالية .

ع . د .

مراجع المقدمة

١ — محمود الحنفى ذهنى : ابن وكيع التنيسى (رسالة ما جستير) .

٢ — ياقوت : معجم البلدان ، الجزء الأول ، تحقيق وستنفلد .

٣ — المقريزى : الخطط ، الجزء الأول . طبع بلاق ١٢٧٠ هـ .

٤ — على مبارك : الخطط التوفيقية ، الجزء العاشر ، طبع بلاق ١٣٠٦هـ .

٥ — ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، الجزآن الثالث والرابع ، طبع دار الكتب المصرية .

٦ — دائرة المعارف الإسلامية ، مادة « ضبة » .

٧ — ابن خلكان : وفيات الأعيان ، الجزء الأول ، تحقيق ديسلان .

٨ — ابن النديم : الفهرست ، تحقيق فلوجل

٩ — الثعالبي : يتيمة الدهر ، الجزء الأول ، طبع الصاوى .

١٠ — ابن العماد الأصبهانى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، الجزء الثالث.

١١ — اليافعى: مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، الجزء الثانى، مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد ١٣٣٨هـ .

مصادر شعر ابن وكيع

١ — يتيمة الدهر للثعالبي ، الجزء الأول ، طبعة الصاوى .
٢ — حلبة الكميت للنواجى ، مخطوط بدار الكتب المصرية عام ٧٦٧ ﻫ ، أى بعد وفاة النواجى بثمانى سنين ، تحت رقم ٥٠٩٢ أدب .
٣ — نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ، طبع دار الكتب المصرية .
٤ — تتمة اليتيمة للثعالبي ، طبع طهران .
٥ — ثار الأزهار فى الليل والنهار لابن منظور ، طبع الجوائب ١٢٩٨ ﻫ .
٦ — مباهج الفكر ومناهج العبر ، للوراق الكتبي ، مصور بدار الكتب المصرية برقم ٣٢٤ طبيعة .
٧ — وفيات الأعيان ، لابن خلكان : الجزء الأول ، طبع باريس ١٨٣٨م.
٨ — تزيين الأسواق ، لداود الأنطاكى ، المطبعة الميمنية .
٩ — حسن المحاضرة للسيوطى ، الجزء الثانى ، مطبعة الوطن ١٢٩٩ ﻫ .
١٠ — تحفة المجالس ونزهة المجالس للثعالبي ، طبعة الجوائب .
١١ — المستطرف فى كل فن مستظرف للأبشيهى ، المطبعة العثمانية ١٣٠٤ ﻫ .
١٢ — المنصف لابن وكيع ، مخطوط فى مكتبة الدكتور خليل عساكر ، الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة .
١٣ — مرآة الجنان لليافعى اليمنى ، طبع حيدر أباد ١٣٩٣ ﻫ .
١٤ — شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لأبى الفرج بن العماد الحنبلى ، نشر مكتبة القدسى .
١٥ — ديوان الصبابة لأحمد بن أبى حجلة المغربى ، على هامش المستطرف .
١٦ — الصبح المنبى عن حيثية المتنبى للبديعى .
١٧ — الرسالة المصرية لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، (نوادر المخطوطات) ١٩٥١ م .
١٨ — عنوان المرقصات والمطربات ، لعلى بن موسى بن سعيد المغربى ، طبع جمعية المعارف.

ما وجدته
من شعر ابن وكيع

البـــاء

١ — حب مع البعد[1] :

إنْ كان قد بَعُدَ اللّقـاءُ فوُدُّنا دانٍ[2] ونحن على النَّوى أحْبابُ
كم قاطعٍ للوَصْـلِ يُؤْمَن وُدُّه ومُواصِـلٍ بِودادِه يُرْتابُ[3]

٢ — رجاء وعتاب[4] :

أُرَجِّي دُنُوَّ الوَصْلِ من بَعْدِ بُعْدِهِ كما قد تُرَجَّى في الجُدوبِ السَّحائبُ
وأُكْثِرُ في الهَجْرِ العِتابَ كأنني لدَهْرِيَ من ظُلْمِ الكِرامِ أُعاتِبُ[5]
وأهْوَى مَواعيدَ المُنَى عنكَ بالرِّضا وقد تُمْتِعُ الآمالُ وَهْيَ كَواذِبُ[6]

٣ — دلال الحبيب[7] :

قالوا: عَشِقْتَ كثيرَ البُخْلِ مُمْتَنِعًا! فقلتُ: هَيْهاتَ عنكُم غابَ أطْيَبُهُ[8]
لو جادَ هانَ وقيلَ[9]: الجودُ عادَتُه وإنَّما عَزَّ لَـمَّـا عَزَّ مَطْلَبُهُ

---

(١) مصادر المقطوعة : الثعالبي : يتيمة الدهر ١ : ٣٤٠ ، وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ١ : ٢٠١ .

(٢) في الوفيات : فودنا باق .

(٣) في الوفيات : وموصل . ومعنى البيت أن الأمر في الحب لا يعتمد على الوصل والهجر وحدهما ، فكثير من الذين هجروا أحبابهم مخلصون مأمون حبهم ، وكثير ممن يصلون أحبابهم غير مخلصين ، مشكوك في ودهم .

(٤) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٣٧ .

(٥) يقول : أكثر في أوقات الهجر من العتاب ، كأنني أعاتب الدهر على ما أوقعه بالكرام من مظالم .

(٦) وأستمتع بالأماني التي تعدني برضاك ، وإن كانت كواذب ، فإنها برغم ذلك تبعث في المتعة والسرور . وفي طبعة الصاوي من يتيمة الدهر : تمنع الآمال ، تحريف .

(٧) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٣٧ . وتزيين الأسواق لداود الأنطاكي ٢٠٨ . وقال قبلها : « ويستحب لمن وسم بالجمال ، وأخذ بقلوب النساء والرجال ، أن يكون كثير التدلل ، قليل التبذل ، فإن ذلك أدعى للسلامة ، وأبعد عن اللائمة » .

(٨) في تزيين الأسواق : كثير التيه .

(٩) في تزيين الأسواق : وقلت .

٤ — غدير[(١)] :

غَديرٌ يُجَعِّدُ أمواجَـهُ ... هُبوبُ الرياحِ ومَرُّ الصَّبَـا[(٢)]
إذا الشمسُ من فوقِهِ أشرقَتْ ... تَوَهَّمته جَوْشَنًا مُذْهَبـا[(٣)]

٥ — عبوس وإعراب[(٤)] :

إنْ شِئْتَ أن تَصْبِحَ بين الوَرَى ... ما بين شتَّامٍ ومُغْتاب
فَكُنْ عَبُوسًا حين تَلْقَاهُمُ ... وخاطِبِ النَّاسَ بإعْرابِ[(٥)]

٦ — قال الثعالبي في تتمة اليتيمة : « وأنشدني الشيخ أبو بكر أيده الله ، قال : أنشدني أبو يَعْلَى سعيد بن أحمد الشروطي بالرملة ، لابن وكيع[(٦)] » :

يَحْسُنُ النَّحوُ في الْخَطابة والشِّعْـرِ ... وفي لفظ سُورَةٍ وكِتاب
فإذا ما تجاوزَ النحـوُ هٰذي ... فَهْوَ شيءٌ من المَسامِعِ نَابِ[(٧)]

---

(١) مصادرها : حسن المحاضرة للسيوطي ٢ : ٢٧٧ . وحلبة الكميت للنواجي ٣٣٣ . والرسالة المصرية لأبي الصلت ٢٢ .

(٢) رواية الحلبة : * غدير يرجرج أمواجه * وفي الرسالة المصرية : يدرج أمواجه ٠٠ هبوب الشمال . والجعد : خلاف الناعم الأملس . ويريد هنا أن الرياح حين تمر بمياه هذا الغدير تلعب بها ، وتجعلها تتاوج موجة في إثر أخرى ، فتظهر على صفحتها خطوط من الماء ، الواحد وراء الآخر . ويحدث هذا عندما تهب عليه الريح الشديدة ، أو يمر به النسيم الخفيف كالصبا .

(٣) الجوشن : الدرع .

(٤) مصادرها : تتمة اليتيمة ١ : ٣٠ .

(٥) بإعراب : كذا في الأصل ، وهي صحيحة ، وربما كانت بإغراب ، بالغين المنقوطة .

(٦) مصادرها : تتمة اليتيمة ١ : ٣٠ .

(٧) كذا في الأصل ، والأصح : عن المسامع .

٧ — دعوة للصَّبُوح (١) :

مَتَى وعدتُكَ فى تَرْكِ الهوَى عِدَةً ... فاشْهَدْ على عِدَتِى بالزُّورِ والكَذِبِ
أَمَا ترى الليل قد وَلَّتْ عساكِرُهُ ... وأقبل الصبح فى جيشٍ له لَجِبِ (٢)
وجَدَّ فى أَثَرِ الجَوْزاءِ (٣) يَطْلُبُها ... فى الجوِّ رَكْضَ هلالٍ دائمِ الطَّلَبِ
كصَوْلجانِ لُجَيْنٍ فى يَدَىْ مَلِكٍ ... أَدْنَاهُ من كُرَةٍ صِيغَتْ من الذهبِ
فَقُمْ بنا نَصْطَبِحْ صفراءَ صافيةً ... كالنارِ لكنَّها نارٌ بلا لَهَبِ (٤)
عروسَ كَرْمٍ أتتْ تختالُ فى حُلَلٍ ... صُفْرٍ على رأسِها تاجٌ من الحَبَبِ

٨ — نخيل البلح (٥) :

أَمَا ترى النخلَ طارحًا بَلَحًا ... جاء بَشِيرًا بدَوْلةِ الرُّطَبِ (٦)
كأنّه والعيونُ تنظُرُه ... إذا بَدَا زَهْرُه على القُضُبِ (٧)
مَكاحِلٌ من زُمُرُّدٍ خُرِطَتْ ... مُقَمَّعاتُ الرءوسِ بالذَّهَبِ

---

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٣٨ . ونثار الأزهار لابن منظور ٥٠ .

(٢) الجيش اللجب : الكبير ذو الجلبة والصياح .

(٣) الجوزاء : نجم يعترض فى وسط السماء .

(٤) نصطبح : نشرب فى الصباح .

(٥) مصادرها : نهاية الأرب للنويرى ١١ : ١٢٦ . وحسن المحاضرة للسيوطى ٢ : ٣٠١ (دون أن ينسبها إلى أحد) .

(٦) طارحا : يريد مثمرا ، وهو استعمال شائع فى كلام عامة مصر ، وهو مأخوذ من المعنى الفصيح فى قولهم : طرحت النخلة التمر ، أى قذفته ورمته . وفى حسن المحاضرة : نثرت بلحا ، بتشديد الثاء .

(٧) القضب هنا : سعف النخيل ، ويبدو أن هذا اللفظ كان شائع الاستعمال فى مصر فى ذلك الحين . انظر المقطوعة التالية وحسن المحاضرة ٢ : ٢٥٣ ، ٢٩٦ .

٩ — الخليج[١] :

قُمْ فاسْقِنِي والخَلِيجُ مضطربٌ   والريحُ تثنى ذَوائِبَ القُضبِ[٢]
كأنَّها والرياحُ تَعطِفُها   صفُّ قَنًا سُنْدُسِيَّةِ العَذَبِ[٣]
والجوّ فى حُلَّةٍ مُمَسَّكَةٍ   قد طَرَّزَتْها البُروقُ بالذهبِ[٤]

١٠ — قسَم[٥] :

لا ، ووَعْدِ الوصلِ باللَّحْظِ على رغمِ الرقيبِ
واختلاسِ القُبلةِ الحُلْوةِ من خدِّ الحبيب
وسماعِ مستطابٍ جاء فى لفظٍ مُصيبِ[٦]
ما سِوَى الراحِ لداءِ الهَمِّ عندى من طبيب

١١ — زيارة الحبيب ليلا[٧] :

حبَّذا زَوْرٌ أتانى طارقاً بعد اجتنابِهْ[٨]
شقَّ جُنْحَ الليلِ بَدْرٌ لاح من ثِنْيِ نِقابِهْ[٩]
طربتْ نفسى إليه وإلى طيبِ اقترابِهْ
طرِبَ الشيخِ إذا ذُكِّرَ أيامَ شبابِه

---

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٣٨ ، وحلبة الكميت للنواجى ، ظهر الورقة ١٨٧ .
(٢) ذوائب القضب : أعاليها ، جمع ذؤابة .
(٣) العذب : طرف كل شىء ، يريد الحوص.
(٤) ممسكة : مطيبة بالمسك .
(٥) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٤٠ .
(٦) السماع : الغناء .
(٧) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٣٧ .
(٨) الزور : الزائر . والطارق : الزائر بالليل .
(٩) جنح الليل : القطعة منه . وثنى النقاب : ما انثنى وانعطف منه .

١٢ — سُهاد وعذاب[١] :

يا مَن إذا لاحت محاسن وجهِهِ غفرتْ بَدائعُهــا جميعَ ذنوبِهِ
النجمُ يعلم أن عَيْنِىَ فى الدُّجَى معقــودةٌ بطلوعِهِ وغروبِهِ
إن كان فى تعذيبِ قلبىَ راحةٌ لك ، فاجتهدْ باللهِ فى تعذيبِهِ
لو كان سفكُ دمى إليك مُحبَّبا لَرَأَيْتَنِى مُتضرِّجا بصَبيبِهِ[٢]

١٣ — أصدقاء السوء[٣] :

لا تُلْفَيَنَّ مُقَـــــارِنًا مَنْ لا يَزِينُ من الصِّحابْ
فالثّوبُ يَنْفُـــذُ صِبْغُه فيما يَليهِ من الثِّيَـــابْ

الجـــيم

١٤ — الزيتون[٤] :

أُنظُرْ إلى زَيْتُونِنــا فيه شـــفاء الْمُهجِ[٥]
بدا لنـــا كأعْيُنٍ شُهْلٍ وذاتِ دَعَجِ[٦]
مُخْضَرُّهُ زبرجـــدٌ مُسْوَدُّهُ من سَبَجِ[٧]

---

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٢٤٠ .
(٢) المتضرج : المتلطخ . والصبيب : الدم المصبوب
(٣) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٢٣٩ .
(٤) مصادرها : نهاية الأرب للنويرى ١١ : ١٣٢ .
(٥) المهج : جمع مهجة ، وهى الروح أو دم القلب .
(٦) الشهل : نعت من الشهلة ، وهى أقل من الزرق فى الحدقة،وأحسن منه ، أو أن تشرب الحدقة حمرة ليست خطوطا كالشكلة ، حتى كأن سوادها يضرب إلى الحمرة . والدعج : شدة سواد العين مع سعتها
(٧) السبج : الخرز الأسود .

الدال

١٥ — قال الثعالبيّ فى تتمة اليتيمة : أنشدنى الشيخ أبو الحسن مسافر ابن الحسن أيده الله تعالى قال : أنشدنى أبو الحسن محمد بن الحسين العمّانىّ قال : أنشدنا القاضى ابن البساط البغدادىّ لابن وكيع التنيسىّ ، وهو أحسن ما قيل فى مدح السفر(١) :

تَغَرَّبْ على اسمِ اللهِ والتَمِسِ الغِنَى   وسافِرْ ، فَفِي الأسفارِ خَمْسُ فوائدِ
تَفَرُّجُ نفسٍ والتماسُ مَعِيشَةٍ   وعِلْمٌ وآدابٌ ورُفْقَةُ ماجِد
فإنْ قيل فى الأسفارِ ذُلٌّ وغُربَةٌ   وَتَشْتِيتُ شَمْلٍ وارتكابُ شدائد
فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ لِلفتى من مُقامِهِ   بدارِ هَوانٍ بين ضِدٍّ وحاسِد

١٦ — ومن مُلَح شعره وغرائبه قولُه من قصيدة مربّعة ، فى الغزل بغلام نصرانىّ(٢) :

رسالةٌ من كَلِفٍ عَمِيدِ   حياتُه فى قَبْضَةِ الصُّدُودِ(٣)
بَلَّغه الشوقُ مَدَى المَجْهودِ   ما فوق ما يلقاه مِنْ مَزِيد

* * *

جارَ عليه حاكِمُ الغرامِ   فَدَقَّ أن يُدْرَكَ بالأوهامِ(٤)

---

(١) مصادرها : تتمة اليتيمة ١ : ٣٠ .

(٢) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣١٨ .

(٣) الكلف : العاشق . والعميد : الشديد الحزن .

(٤) فدق : يريد أنه ضعف ونحل حتى صار لا تدركه الأوهام .

فلَوْ أتاه طارقُ الحِمَـامِ   لم يَرَه من شِـدَّةِ السَّقامِ (١)

* * *

له اهتزازٌ وارتياحٌ وطرَبْ   لوَجْهِ مَنْ أوْرثه طولَ الكُرَبْ

فهل سمعتم فى أحاديثِ العَجب   بمَنْ مُناهُ قُرْبُ مَنْ مِنه العَطَب (٢)

* * *

ما غاب عنه الحزمُ فى الأمورِ   لـكنّ مقدارَ الهوَى ضرورى (٣)

صاحبُـهُ يَخبِطُ فى دَيْجُورِ   مُنفِّـذَ التَّقديرِ بالمَقْـدُورِ (٤)

* * *

إذا التقى فى مِسْمَعَيْهِ العَذْلُ   وَقيلَ مِنْ دُونِ المُرادِ القَتْلُ (٥)

قال لهم : لومُ المُحِبِّ جهـلُ   إنَّ الهوَى يُغلَبُ فيه العَقْلُ

* * *

ما العُذْرُ فى السَّلْوَةِ عن غَزَالِ   مُنْقَطِعِ الأقرانِ والأشكالِ

تَسْتَخْلِفُ الشَّمْسُ لدَى الزَّوالِ   ضيـاءَ خدَّيْهِ على اللَّيـالى (٦)

* * *

بخفّةِ الروحِ احْتوَى صَلاحِى   فصرتُ لا أرْغَبُ فى الفَلاحِ

---

(١) الطارق : الزائر ليلا . والحمام : الموت .

(٢) العطب : الهلاك .

(٣) مقدار الهوى : ما قدر على المرء منه .

(٤) الديجور : الظلام . والمقدور : أي المقدر عليه .

(٥) المسمعان : الأذنان .

(٦) يصف خديه بالإشراق والضياء ، حتى إن الشمس حين تغيب تتركه خلفا منها يضيء الليالى.

والشَّكلُ والخِفَّة فى الأَرْواحِ　　أَمْلَحُ ما يُعْشَقُ فى المِلاَحِ

***

من عَشِقَ الفَدْمَ وإنْ دَقَّ البصرْ　　فَلْيَقْصِدِ البِيعَةَ وَلْيَهْوَ الصُّوَرْ(١)

مَنْ كَانَ يَهْوَى منظرا بلا خَبَرْ　　فما له أوفقُ من عِشْقِ القَمَرْ

***

ظَبْيٌ سُلُوِّى عنه مثل جُودِهِ　　خيالُه أَكْذَبُ مِنْ مَوْعُودِهِ(٢)

أجفانُه أسْقَمُ مِنْ عُهُودِهِ　　أردافُه أثقَلُ مِنْ صُدُودِهِ

***

يا وَصْلَه صِلْ مثلَ وَصْلِ صَدِّهِ(٣)　　يا حُكْمَه كُنْ فى اعتدالِ قَدِّهِ

يا قلبَه كُنْ رِقَّةً كَخَدِّهِ(٤)　　يا خَصْرَه كُنْ مثلَ ضَعْفِ عَهْدِهِ

***

أما وخَصْرٍ ضَعْفُه كصَبْرِى　　له . ووَجْهٍ حسنُه كشِعْرِى(٥)

له عِذَارٌ قام لى بعُـــذْرِى　　لا تُبْتُ مِن شَوْقِ إليه دَهْرِى(٦)

***

(١) الفدم : الأحمق الغليظ ، ويريد الذى لا يبادله حبا بحب ، ولا يؤثر فيه غزله ولا استعطافه .

(٢) موعوده : وعده أو ما يعد به . يقول إنه لا يستطيع أن يسلو حبيبه الذى لا يجود له بالوصل ، ولا يزوره حتى خياله .

(٣) فى طبعة الصاوى المبتسرة : يا وصل صله مثل ... وهو اضطراب . ومعنى الشطر أنه يرجو أن ينال من وصله ما نال من صده .

(٤) كن رقة : أى كن رقيقا ، عبر بالمصدر فى موضع النعت ، وهو استعمال معروف .

(٥) يصف خصره بالرقة والضعف كصبره عنه ، ووجهه بالحسن والجمال كشعره فيه .

(٦) العذار : الموضع الذى ينبت عليه شعر اللحية من الخد ، يصف عذاره بالجمال الفائق ، الذى حين يراه الناس يعذرونه لحبه إياه .

أضحَى لإبليسَ به اســتقدارُ   على بنى آدمَ واسْتِبْشَــارُ(١)
وقال : فى ذا تُسْتَطَابُ النَّــارُ   ما لهمُ عن مثلِ ذا اصطبار

* * *

تمَّتْ لىَ الحيــلةُ فى العِبَادِ   أدركْتُ من صالِحِهم مُرادِى(٢)
بمثــلِ ذا أمكنَنى إفسادِى   لأنفُسِ العبَــادِ والزُّهَّادِ

* * *

وَالهَفتى مِنْ خدِّه الأســيلِ   إذا انجلَى عن صَفْحَتَىْ صَقيلِ(٣)
واحرَبِى من طَرفِهِ الـكَحيلِ   مَنْ مُنصِفِى مِنْهُ ! ومَنْ مُديلِى !(٤)

* * *

من مُقلَةٍ كالصَّارِمِ البَتَّــارِ   ألحاظُها أمضَى من المِقْدَارِ(٥)
تحكُمُ فى لُبِّى وفى اصطِبارِى   نظيرَ حُكْمِ الدَّهْرِ فى الأَحْرَارِ

* * *

حلَّ قُوَاىَ العَقدُ من زُنَّارِهِ   ألهبَ قلبى خدُّه بنارِهِ(٦)
عَذَّرَ صَبْرِى مُبْتَــدَا عِذارِه   حيَّرنِى بالطَّرْفِ واحْوِرَارِه(٧)

* * *

(١) استقدار ، هنا : اقتدار ، ولم أجدها بهذا المعنى فى المعاجم ، وإنما فيها : استقدر الله خيرا : سأله أن يقدر له به .

(٢) صالحهم : أى الصالح من الناس . يريد أن إبليس يستطيع أن يغوى بهذا الحبيب الجميل الصالح من الناس لا الفاسد حسب .

(٣) الأسيل : الأملس الطويل . وصفحتاه : يريد بهما الخدين .

(٤) الحرب : الهلاك والويل . ومديلى ، هنا : منصفى . والطرف : العين .

(٥) مقلة : عين . الصارم : السيف القاطع . البتار : الحاد القاطع . المقدار : القدر .

(٦) العقد هنا : المعقود . والزنار : الحزام ، وكان للمسيحيين خاصة فى العصور الإسلامية الأولى .

(٧) عذر صبرى : أى منح العذار الصبر عذرا فى ترك الحب . والاحورار : صفاء بياض العين، ولوة سوادها .

جاء بوجهٍ حسنُهُ محبوبُ   تَطيبُ فى أمثـالِه الذّنوبُ
وقامةٍ ذَلَّ لهـا القَضِيبُ   والقلبُ تنقدُّ به القلوبُ[1]

***

هَفَا بقَلْبِى منه إفراط الهَيَفْ   فقلتُ لما أنْ تثنَّى وانْعطفْ :
ياسَيِّدِى من دُونِ ذا المَيْلِ التَّلفْ   وشَرْطُ مَنْ كانَ ظريفاً فى القَطَفْ[2]

***

ما قِصَرُ القامةِ مثل الطولِ   ولا البَدِينُ الجسمِ كالمَهْزُولِ
عشْقُ الرَّشيقِ الأهيفِ المَجْدُولِ   شأنُ ذوى الأفهامِ والعقولِ[3]

***

لا يعشَقُ الضخمَ الغليظَ الجسمِ   غيرُ غليظِ الطّبعِ جافٍ فَدْمِ[4]
مُـكَدَّرِ الحِسِّ رَكُودِ الفَهْمِ   يقولُ فى الحُسْنِ بِغَيْرِ عِلْمِ

***

قد صِحْتُ لما خِفْتُ منه القَتْلا   وكِدتُ من فَرْطِ السَّقام أَبْلَى
ياحاكِماً جانبَ فِىَّ العَـدْلا   مهلاً عن يَهْوَاك مَهْلاً مَهلا

***

---

(١) تنقد : تنشق وتتقطع .

(٢) القطف ، بالتحريك : ليس لها من المعانى ما يتفق مع السياق هنا ، ولعل أصلها بتسكين الطاء ، وحركت للضرورة الشعرية ، ومعناها تقارب الخطو فى السير مع البطء . وربما كانت الكلمة محرفة عن : القضف ، بمعنى النحافة ، أى أن شرط الظريف أن يكون نحيفا ، ويؤيد ذلك البيت السابق والآتى .

(٣) المجدول : اللطيف العظم المشدود اللحم المحكم الطى .

(٤) الجافى : السكز الغليظ . والفدم : الأحمق الغليظ .

يا طالمـــا يقتُلُنى مُجاهرَهْ قد منعَ الوَجْدُ من المُـاتَرَهْ
هَلُمَّ إن شئتَ إلى المُناظره واستَعْمِلِ الإنصافَ لا المُكابَرِه

* * *

فى أىِّ دِينٍ حَلَّ قتلُ الرُّوحِ وهَلْ لما تفعلُ من مُبيحِ
إن قلتَ : ذا جاء عن المَسِيحِ فليسَ ما تزعمُ بالصَّحيحِ

* * *

مُرْقُسُ ما أخبَرنا بذا الخَبَرْ عنهُ[1] ولا لُوقا حكاهُ فى الأثَرْ
وقد نَهى عن ذا يُحنّا وزَجَرْ ولا ارتضى مَتَّى به ولا أمَرْ

* * *

أربعةٌ ليس لهم عَـدِيلُ ولا لهمْ فى أمرِهمْ كَفِيلُ[2]
ما فيهمُ مَنْ قال ما تقولُ فهل سوى إنجيلِهمْ إنجيل ؟

* * *

فإن زعمتَ أن ذا موجـودُ فى زُبُرٍ جاء بهـــا داودُ
فما الزَّبُورُ بيننـــا مفقودُ فكيف لم تعلم به اليهودُ ؟

* * *

ولم يُخَبِّرْ أحدٌ ســـواكا من النّصارَى كلّهم بذا كا
لا تَتقوّلْ غـــيرَ ما أتاكا وغَلِّبِ الحقَّ على هوَاكا

* * *

(١) منه : أى عن المسيح .

(٢) العديل : النظير والمثل ، وكذا الكفيل .

سَفْكُ دمى يُحْظَرُ فى الأديانِ   فَدَعْ حِجاجًا ظاهرَ البُطلان[١]
لا تجمعِ الإثمَ مع البُهتانِ[٢]   وكن على خوفٍ من العُدوان

* * *

واعلمْ بأنى إن تَمادَى بى الهوَى   وخِفتُ أن أتلفَ من فَرْطِ الضَّنَى
ودُمْتَ فى هَجْرِكَ لى كما أرَى   ولم أجدْ منك لما بى مُشتَكَى[٣]

* * *

شكوتُ ما تلقاه نَفسى البائسَهْ   من خَطَراتٍ للهُموم هاجِسَهْ
عَفَتْ رُسُومُ الصبرِ فهى دارِسَهْ[٤]   إلى جميعِ عُصْبَةِ الشَّمامِسَهْ

* * *

فإن همُ لم يرحمــوا أنينى   وخَيَّبُوا فى قصدِهم ظُنُونى
ولم أجدْ فى القومِ مِنْ مُعينِ   يُنْصِفُنى منك ولا يُعْدِينى[٥]

* * *

شكوتُ ما يلقَى من الأحزانِ   قلبى إلى مَشْيَخةِ الرُّهْبانِ[٦]
عساكَ تستحيى من الشِّيخَانِ[٧]   وإن تهاونتَ بهم فى شانى

* * *

---

(١) الحجاج : الجدل .   (٢) البهتان : الكذب والافتراء .

(٣) المشتكى : من تشتكى إليه فيزيل أسباب شكواك .

(٤) عفت : امحت . ورسوم الدار : ما كان لاحقا بالأرض من آثارها ، ويريد برسوم الصبر: ما تبقى منه ، والدارسة : الممحوة .   (٥) يعدينى : ينصفنى .

(٦) يلاحظ أن الرهبان ليسوا من رجال الكنيسة الذين راعى ترتيبهم بحسب مراتبهم الكهنوتية ، ولعله قصد لفظ الشيوخ والمشيخة ، ولم يقصد لفظ الرهبان لذاته .

(٧) الشيخان : الشيوخ .

فلاَ أَرَاكَ مُنْضبَـــا عَبُوسَا　　إِذَا أَتيْتُ أَسْأَلُ القِسِّيسَا
مَمُونَةً أَرْجو لَها التَّنْفِيسَا　　عن مُهْجةٍ قَارَبَت النَّسِيسَا[1]

* * *

واعلمْ بأنى إنْ رَددتَ شافِعِى　　هذا ، وَلَمْ يَرْجِعْ بأمرٍ نَافِعِى
فليسَ ذا بحاسمٍ مطــامِعِى　　كم طالبٍ جَدَّ بِجدِّ المَانعِ[2]

* * *

لو كنتَ مَبْذُولاً لنالم تُطْلَبِ　　وَإِنَّمَا نَرْغَبُ إِذْ لم تَرْغَبِ
وَكَلَفُ[3] النفسِ بِتَرْكِ الأقربِ　　وَشِدَّةُ الحِرصِ عَلَى المُسْتَصْعَبِ

* * *

وَإِنْ تَمادَيتَ عَلَى جَفائِكَا　　ودُمت بالقِلَّةِ من حِبائِكَا[4]
فى هَجْرِنا على قبيحِ رأيِكا　　واستيأسَ الرّهبانُ من إصفائِكا[5]

* * *

فَلاَ تَلُمْنى إنْ قَصدتُ الأُسْقُفَا　　من بَرَّحَ السُّقمُ به رام الشِّفَا
فَلاَ تَقُلْ : أبديتَ مكنُونَ الخَفَا　　أنتَ الَّذِى أَحْوَجْتَنِى أَنْ أَكْشِفَا

* * *

---

(١) النسيس : بقية الروح فى الجسد . وقاربت النسيس : يريد كادت تموت .
(٢) يقول : إن من صادفتهم العقبات الجسيمة فألهبت عزائمهم ، وقوت تصميمهم ، كثيرون .
(٣) فى بعض نسخ اليتيمة : وكلت النفس .
(٤) الحباء : العطاء .
(٥) إصفائكا : أن تصفينى الود : أى تعطينى إياه صافيا خالصا . وفى بعض نسخ اليتيمة : إصفائكا ، بالفين ، وهى صحيحة، بمعنى طاعتك وخضوعك لما يأمرونك به من مواساتى وعدم قتلى .

سَوْفَ إلى المُطْرانِ أُنهي قِصّتي … إنْ دامَ ما تُؤثِرُه من هَجْرِي
فإنْ زنَى لي طالبـــا مَعُونتي … ولم تُشَفّعْهُ بكَشْفِ كُرْبَتي

* * *

شكوتُ ما يلقاه من فَرْطِ السَّقَمْ … قلبي إلى البطْرَكِ والحَبْرِ العلَمْ[1]
عساكَ إن خالفتَه فيما حَكَمْ … يُدْخِلُكَ الحِرْمَ فَوَيْلٌ مَنْ حُرِمْ[2]

* * *

هُناكَ تأتي مُسْتَقِيلاً ظُلْمِي … تسألُني عطفَ الرِّضا بالرَّغْمِ[3]
تَرْضَى بما يُنْفِذُ فيك حُكْمِي … إذا بك اشتَدَّ عذابُ الحِرْمِ

* * *

دَعْ ذا فهذا كلُّهُ تهديدُ … أرجو به قربَكَ يا بَعِيــدُ
هيهاتَ سِرِّي أبدا جَحُود … فيك ، وقَوْلِي كلُّ ما تريد[4]

* * *

مَولايَ قد ضاقت بِيَ الأمورُ … فقلتُ ما قلتُ ، وقَوْلِي زُورُ
قلبيَ إلّا في الهَوَى جَسُورُ … فلا تَلُمْ أن يَنْفُثَ المَصْدُورُ[5] ؟

* * *

---

(١) الحبر : العالم . والعلم : الشهير .

(٢) الحرم : الحرمان ، ويريد بإدخاله فيه أنه يحرمه مغفرة الله .

(٣) مستقيلا : طالبا صفحي .

(٤) جحود : لا يفشي السر . وقولي كل ماتريد : أي لا أقول إلا ما تريده .

(٥) المصدور : المريض الصدر ، وينفث المصدور : يرمي ببصاقه ، ويريد الشاعر كشفه ماضاق عنه صدره من أسرار الحب .

مولاى بالرحمن أحى مُغْرَمَا ... يخافُ أن تغضبَ إنْ تَظَلَّما
إليك أشكُو فعَسى أن تُنْعِما ... مَهْلاً قليلا قد قتلتَ المُسْلما

***

ياجرجسُ ارْفُقْ بفؤادٍ هائمٍ ... ياسيدى خَفْ سُوءَ عُقْبَى الظّالِمِ
وقد رَضِينا بك فى التّحاكُمِ ... والجَوْرُ لا يُشْبِهُ فِعْلَ الحاكمِ

***

أقصَى رجائِى منكَ نَيْلُ الوُدِّ ... وقُبْلَةٌ تَشْفِى غليلَ الوَجْدِ
ياجائرًا أفْرطَ فى التَّعَدِّى ... منكَ إليك فى الهوى أسْتَعْدِى(١)

١٧ — كَرْم وخمر ووجه الحبيب(٢) :

شربتُ مُجاجَ الكَرْمِ تحت ظلالِهِ(٣) ... على وجهِ معشوقِ الشمائلِ أغْيدِ
كأنَّ عناقيدَ الكروم وظِلَّها ... كواكبُ دُرٍّ فى سماءِ زبرجدِ

١٨ — المِشْمِش(٤) :

بدا مشمشُ الأشجارِ يذكو شهابُهُ
على حُسْنِ أغصانٍ من الدَّوْحِ مُيَّدِ(٥)

---

(١) التعدى : الظلم . وأستعدى : أستعين .
(٢) مصادرها : مباهج الفكر ، الفن الرابع ص ٢٨٦ . (٣) مجاج الكرم : يريد الخمر .
(٤) مصادرها : حلبة الكميت ، ظهر ص ١٤١ . وتحفة المجالس ٢١٩ . ونهاية الأرب ١١ : ١٤١ . والمستطرف ٢ : ١٨٨ ومباهج الفكر ٣١٧ .
(٥) يذكو شهابه : يشتد ضياؤه . والدوح : الشجر العظيم ، جمع دوحة . والميد : المهتزة . ورواية الشطر الثانى فى نهاية الأرب وتحفة المجالس ومباهج الفكر : على خضر أغصان من الرى ميد وفى المستطرف : * على غض أغصان من الروض ميد * . ويبدو أن هناك تداخلا بينه وبين المقطوعة الآتية .

حَكَى وَحَكَتْ أغْصَانُهُ فى اخْضِرَارِهَا

جَلاجِلَ تِبْرٍ فى قِبَــابِ زَبَرْجَدِ[١]

١٩ — نَوْرُ الكَتَّانِ[٢] :

ذوائبُ كَتَّانٍ تَمَايَلُ فى الضُّحَى

عَلَى خُضْرِ أغْصَــانٍ مِنَ الرِّىِّ مُيَّدِ[٣]

كأنَّ اصفرارَ الزَّهْرِ فَوْقَ اخضرارها

مَدَاهِنُ تبرٍ رُكِّبتْ فى زبرجد

٢٠ — الجُلَّنَار[٤] :

وَجُلَّنَـــارٍ بَهِىٍّ ضِرَامُهُ يَتَوَقَّـــدْ[٥]

بدَا لَنَا فى غُصُــونٍ خُضْرٍ من الرِّىِّ مُيَّد

يَحْـكِى فُصوصَ عَقِيقٍ فى قُبَّةٍ من زبرجد[٦]

---

(١) حكى : شابه ، والجلاجل : الأجراس الصغيرة . والتبر : فتات الذهب قبل أن يصاغ وفى نهاية الأرب ومباهج الفكر : وحكت أشجاره . وفى المستعارف : وحكت أشجاره فى اخضراره .

(٢) مصادرها : حسن المحاضرة ٢ : ٢٩٧ . ونهاية الأرب ١١ : ٢٧ ومباهج الفكر ٢٩٩ .

(٣) النور : الزهر الأبيض . والذؤابة : الناصية أو منبتها من الرأس ، ويريد بها نور الكتان . وفى مباهج الفكر : تمايلن . « ونبات الكتان فى غاية ما يكون من البهجة والنضارة وحسن الألوان » (نهاية الأرب ١١ : ٢٦) .

(٤) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٤١ . ونهاية الأرب ١١ : ١٠٥ . وحسن المحاضرة ٢ : ٢٩٩ ومباهج الفكر ٣٤١ .

(٥) الجلنار : زهر رمان برى ، فارسى أو مصرى ، قد يكون أحمر ، وقد يكون أبيض ، وقد يكون موردا (نهاية الأرب ١١ : ١٠١) . والضرام : ما اشتعل من الحطب ، ويريد به هنا الأحمر من الجلنار ، كأن به نارا . ويلاحظ أن الصور والألفاظ فى هذه المقطوعات الدالية الثلاث متماثلة . وفى مباهج الفكر : وجلنار ذكى .

(٦) فى مباهج الفكر : لحكى .

الراء

٢١ — خمرية [(١)]:

اشْرَبْ فَقَدْ طَابَتِ الْعُقَارُ ... وابتسم الوردُ والبَهَـــارُ [(٢)]
مِنْ قَهْوَةٍ مَا انْبَرَتْ لِهَمٍّ ... إِلَّا وَوَلَّى له انْشِمَـــارُ [(٣)]
لَهَا جُيُــوشٌ مِنَ الْمَلَاهِى ... لِلْهَمِّ قُدَّامَهَا الْفِــرَارُ
لِأَلَاوُهَا فى الدُّجى نَهَـــارٌ ... يُظْلِمُ مِنْ نُورِهِ النَّهارُ [(٤)]
إِذَا اسْتَقَرَّتْ حَشَا لَبِيبٍ ... رَأَيْتَه مَا لَهُ قَــرَارُ [(٥)]
لم يَرَهَا نَاظِرٌ حَــدِيدٌ ... إِلَّا ثَنَى لَحْظَه انكسَار
حبَابُهَـــا جِسْمُهُ لُجَيْنٌ ... وَجِسْمُهَا شَخْصُه نُضَارُ [(٦)]
كَأَنَّهَــــا تَحْتَهُ كُمَيْتٌ ... عَلَيْــهِ مِنْ فِضَةٍ عِذَارُ [(٧)]
لهــا لَدَى حُزْنِ شَارِبِها ... ثَأْرٌ وعِنْــدَ الْحُلُومِ ثَارُ [(٨)]
فَالْحُزْنُ عَنْ أَهْلِهَا مُطار ... والْحِـــلْمُ فى إِثْرِهِ مُطَارُ

---

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٢٣٢ .

(٢) العقار : الخمر . والبهار : نبت طيب الرائحة ، ويقال : هو الأقحوان الأصفر .

(٣) القهوة هنا : الخمر . ولى : هرب . والانشمار : الجد فى الهرب .

(٤) اللألاء : الضوء . والدجى : الظلام . يقول : إن ضوءها من شدته يقلب الليل المظلم نهارا ، ويجعل النهار المضيء كأنه ليل بالنسبة لضوئه .

(٥) استقرت حشا : أى استقرت فى حشا ، وحذف حرف الجر .

(٦) اللجين : الفضة ، شبه بها الحباب لبياضهما ، وفى الأصل : خيالها ، فى موضع : حبابها ولا معنى لهذه الكلمة هنا . والنضار : الذهب شبه به الخمر للونهما .

(٧) الكميت : الفرس الأحمر فى سواد ، شبه به الخمر للون أيضا . والعذار : ما كان من اللجام على خد الفرس ، شبه به الحباب .

(٨) الحلوم : جمع حلم وهو العقل أو الصبر والأناة . يريد أن بينها وبين الحزن والعقل ثأرا ، فلابد لها من الأخذ به .

فلا انتصارٌ لذا عليها ولا عليها لذا انتصارُ
يسعى بهـا جؤذرٌ غريرٌ في لحظ أجفانه احورارُ[1]
يحسُنُ مِنّي الوقارُ إلا فيه فما يحسُنُ الوقار
أغارُ مني عليه حتى عليه من نفسه أغار
كلُّ جمالٍ ترى فيه إذا تأملتَ مُستعار
كأنّ صُدغا له تراهُ وهْو على خدّه مُدار
ميدانُ آسٍ بدا جنيّا ألهبَ في جانبيه نار[2]
بيتٌ من الحُسنِ لي إليه حجٌّ مَدى الدّهرِ واعتمارُ[3]
زيارة البيْتِ كلّ عامٍ ودهْرُ ذا كلُّه يُزار[4]
قلتُ له إذ بدا وقلبي من لاعجِ الشّوقِ مُستطار[5]
ياجامعَ الحُسنِ كلَّ حُسنٍ للناسِ من شرطِك اختصار
ما فضلُ الغانياتِ عندي عليك إلا امرؤٌ حمار

٢٢ — رجوع المعذول[6] :

أقبلَ، والعُذّالُ يلحَوْنَني[7] فكلُّهم قال : مَنِ البدرُ ؟

---

(١) الجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، شبه به الساقي . والغرير : غير المجرب .
(٢) الجنى : ما جنى من ساعته . شبه عذاره الأخضر حول خده الأحمر بالآس وقد ألهبت فيه النار .
(٣) الاعتمار : الحج الأصغر ، ولا يشترط فيه زمان معين .
(٤) البيت : يريد به البيت الحرام .
(٥) لاعج الشوق : الحار المؤلم منه . ومستطار : متصدع متفرق من الخوف .
(٦) مصادرها : يتيمة الدهر : ٣١١ . ونهاية الأرب ٢ : ٢٤٢ . وانظر المقطوعة رقم ٨٠ .
(٧) يلحونني : يلومونني .

فقلتُ : ذا مَنْ طالَ فى حُبّه   مِنكم لىَ التّعْنيفُ والزَّجْرُ !
قالوا : جَهِلنا ! فاغتفرْ جهلَنا   فليسَ عن ذا لامرىءٍ صبر
عُذْرُك فى الحبِّ له واضحٌ   ومالَنا فى لَوْمِنا عُـــذْر

٢٣ — اختياره[١] :

واحَرَبِى من جُفونِ ظَبْيٍ[٢]   أقام عُـــذرِى به عِذارُهْ
أسْقَمَ جسمى بسُقْمِ طَرْفٍ   حَيَّرَنى فى الهوى احْوِرَارُه
عجِبتُ من جَمْـــرِ وَجْنَتَيه   يُحْرِقُنى دُونَه استِـــعارُه[٣]
هـــذا اختِيَارى فأبْصِرُوهُ   شاهدُ عَقْلِ الفتى اختِيارُه

٢٤ — الطَّلْع[٤] :

طَلْعٌ هَتَـكْنا عنه أسْتارهُ   من بَعدِ ما قد كان مستورا
كأنه لمـــا بدا ضاحكا   فى العَيْنِ تَشْبِيها وتقديرا
دُرْجٌ من الصَّنْدلِ قد أوْدَعَتْ[٥]   فيه يَدُ العَطّارِ كافورا

---

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٤٢ .
(٢) الحرب بالتحريك : الهلاك والويل .
(٣) استعرت النار استعارا : اتقدت . يعجب من وجنتى الحبيب الحراوين كالجمر كيف تحرقانه دون أن تمسا الحبيب بسوء .
(٤) مصادرها : نهاية الأرب ١١ : ١٢٤ . ومباهج الفكر ٢٥٨ .
وطلع النخل : شىء يخرج كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود ، أو هو ما يبدو من ثمرته فى أول ظهورها . وفى المباهج : هتكنا عنه أثوابه .
(٥) الدرج : الوعاء والسفط . والصندل : شجر هندى طيب الرائحة يشبه شجر الجوز .

٢٥ — الآذَرْيُون[١] :

قُمْ فاسْقِنِي صافيـــةً   تَسْلُبُ قلبي فِكرَهْ
في روضَــةٍ كأنّها   خَرِيدةٌ في حِبَرَه[٢]
كأنَّ آذَرْيُونَهـا   أَسْـــوَدُه وأحمرُه
سَحِيقُ مِسْكٍ مُودَعٍ   في خِرَقٍ مُعَصْفَرَه[٣]

٢٦ — قبلة مختلسة[٤] :

ظَفِرتُ بِقُبْلَةٍ منك[٥] اختلاساً
وكنتُ من الرقيبِ على حِذارِ
ألذَّ منَ الصَّـــبوحِ على غَمامٍ
ومن بَرْدِ النَّسيمِ على خُمـــارِ[٦]

---

(١) مصادرها : نهاية الأرب ١١ : ٢٧٨ ، ومباهج الفكر ٤٤٥ .
والآذريون : ورد أصفر لاريح له ألبتة ، وهو صنف من الأقحوان ، ومنه ما نواره أحمر . وقال ابن البيطار في جامعه : أنه نوار ذهبي ، في وسطه رأس صغير أسود ، واسمه بالفارسية : آذركون ، ومعناه لون النار .

(٢) الخريدة : البكر لم تمس أو الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة . والحبرة : ضرب من برود اليمن ، ويبدو أنها موشاة كثيرة الألوان .

(٣) السحيق : المسحوق . والمودع : المحفوظ . والمعصفرة : المصبوغة بالعصفر ، وهو صبغ أصفر اللون .

(٤) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٢٣٩ .   (٥) في طبعة دمشق من اليتيمة : منه .

(٦) الصبوح : شرب الخمر صباحا ، وكانوا يستحبون شربها في أيام الغيم والمطر طلبا للدفء .

٢٧ — غزل وربيع وخمر[١] :

جَانَبْتُ بَعْدَكَ عِفَّتِى وَوَقَارِى
وَخَلَعْتُ فى طُرُقِ الْمُجون عِذارى[٢]

ورأيتُ إيثارَ الصَّبابةِ فى الَّذِى
تَهْوَى النُّفوسُ مُحَقِّقَ الأعْمار

لا تأمُرَنِّى بالتَّستُّرِ فى الْهَوَى
فالعَيْشُ أجْمَعُ فى ركوبِ العَار

إنَّ التَّوقُّرَ لِلْحَياةِ مُكَدِّرٌ
والعَيْشُ فَهْوَ تَهَتُّكُ الأسْتَار

مَنْ تَابَعَتْ أمْرَ الْمُروءةِ نَفْسُهُ
فَنِيَتْ مِنَ الْحَسَراتِ وَالأفْكار

لا تُكْثِرَنَّ عَلَىَّ ، إنَّ أخَا الحِجَا
بَرِمٌ بِقُربِ الصَّاحِبِ الْمِهْذار[٣]

خَوَّفْتَنِى بالنَّارِ جُهْدَكَ دَائِبًا
وَلَجَجْتَ فى الإرْهَابِ وَالإنْذار[٤]

---

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٣٩ .
(٢) جانب : باعد واجتنب . وخلع عذاره : اتبع هواه وانهمك فى الغى ، والعذار : الحياء .
(٣) الحجا : العقل . والمهذار : الذى يهذى ويخلط فى منطقه ويتكلم بما لا ينبغى .
(٤) لج : تمادى وألح .

خوفى كخوفك غير أنى واثق ... بجميل عفو الواحد القهار
أقررت أنى مذنب ، ومحرم ... تعذيب ذى جرم على الإقرار
انظر إلى زهر الربيع وما جلت ... فيه عليك طرائف الأنوار
أبدت لنا الأمطار فيه بدائعا ... شهدت بحكمة منزل الأمطار
ما شئت للأزهار فى صحرائه ... من درهم بهج ومن دينار[1]
وجواهر لولا تغير حسنها ... جلت عن الأثمان والأخطار[2]
من أبيض يقق وأصفر فاقع ... مثل الشموس قرن بالأقمار[3]
ناحت لنا الأطيار فيه فأرهجت[4] ... عرس السرور ومأتم الأطيار
دار لو اتصل البقاء لأهلها ... لم يحفلوا بنعيم تلك الدار[5]
فانهض بنا نحو السرور فإنه ... ما زال يسكن حانة الخمار
فاشرب معتقة كأن نسيمها ... مسك تضوعه يد العطار[6]
أخفى دبيبا فى مفاصل شربها ... وأدق ألطافا من المقدار[7]
أحكامها فى العقل إن هى حكمت ... أحكام صرف الدهر فى الأحرار[8]
يرضى على الأقدار شاربها الذى ... ما زال ذا سخط على الأقدار

---

(١) البهج : الحسن . (٢) الأخطار : القيم .
(٣) أبيض يقق : شديد البياض . (٤) أرهجت : أثارت وهيجت .
(٥) تلك الدار : أشار إليها بصيغة البعد ، لأنه يريد الآخرة ، أى أنه لو اتصل الربيع دواما فى الدنيا ما حفل أهلها بنعيم الآخرة . (٦) تضوعه : تحركه لتنشر رائحته .
(٧) الدبيب : الزحف . والشرب : الشاربون . والألطاف : جمع لطف ، بضم اللام وسكون الطاء ، وهو الصغر والدقة ، والمقدار : لعله يريد هنا الموت . يصف الخمر بأنه أدق من الموت وأخفى سريانا منه .
(٨) صرف الدهر : أحداثه ومصائبه .

وكأنها، والكأسُ ساطعةٌ بها ، ذَوْبٌ تَحَلَّلَ فى عقيقٍ جارى (١)
لاسيّما من كفِّ أغْيَدَ شادنٍ يَسْبِى العُقولَ بطَرفِه السَّحّار (٢)
فَضَلَ الغصونَ لأنّها من غَرْسِنا عندالتأمُّلِ، وهو غَرْسُ البارى
قد غَيّبَ الزُّنّارَ دِقّةُ خَصْرِه حــتى ظَنَنّاهُ بلا زُنّار
مُتَنَصِّرٌ قَوِيتْ على إسْلامِنا بالحُسْنِ منه حُجّةُ الكفار
قالوا : أيَصْنَعُ مثلَ هذا ربكُم ويَرَى فَسَادَ صَنِيعِه بالنار ؟
مَعْ مُسْمِعٍ حلَفَتْ له أوتارُهُ أنْ لا تُنافِرَ رَنّةَ المِزْمار (٣)
فَطِنٍ يُحرِّكُ كلَّ عُضوٍ ساكنٍ تَحْرِيكُهُ لسَوَاكنِ الأوْتار
شَدْوٌ إذا الحلماء زارَ حُلومَهم باعُوا بطِيبِ السُّخْفِ كُلَّ وَقار (٤)
والشَّدْوُ أحْسَنُه الذى لم يُسْتَمَعْ إلا أطارَ العقلَ كلَّ مُطار
ذَا العَيْشُ لا نعتُ المَهامِهِ والفَلا وسُؤالُ رَسْمِ الدّارِ والأحْجار (٥)
لا فَرَّجَ الرحمنُ كُرْبَةَ جاهلٍ يَبْكِى على الأطْلالِ والآثار

---

(١) الذوب : الذائب .
(٢) الأغيد : الناعم المثنى . والشادن : ولد الظبى الذى قوى واستغنى عن أمه . ويسبى : يأسر .
(٣) المسمع : المغنى .
(٤) يرى الشاعر أن هذا الغناء بلغ من الجمال مرتبة عالية ، حتى لو سمعه العقلاء الحلماء باعوا ما يتحلون به من وقار فى مقابل هذا الطيش اللذيذ الذى يسرى إليهم حين سماعه .
(٥) المهامه : الصحارى البعيدة والبلاد المقفرة ، جمع مهمه . وكذا الفلا ، جمع فلاة .

٢٨ — خمر في الظلام[1] :

حملتْ كفُّه إلى شَفتيْهِ ... كأسَهُ، والظلامُ مُرْخَى الإزارِ[2]
فالتقَى لؤلُؤا حَبابٍ وثَغْرٍ[3] ... وعَقيقانِ مِنْ فَمٍ وعُقارِ

٢٩ — نميمة[4] :

يَنِمُّ بِسِرِّ مُسْتَرْعِيهِ لُؤْمًا ... كما نَمَّ الظَّلامُ بِسِرِّ نَارِ[5]
أَنَمُّ مِنَ النُّصُولِ عَلَى مَشِيبٍ ... ومِنْ صَافِي الزُّجاجِ عَلَى عُقَارِ[6]

٣٠ — جنون أحلى من الخمر[7] :

خَلَعْتُ في حُبِّهِ عِذَارِي ... وَطَابَ لِي الْعَيْشُ باشْتِهَارِي[8]
وَذُقْتُ طَعْمَ الْجُنُونِ فِيهِ ... فَكَانَ أَحْلَى مِنَ الْعُقَارِ
إِنْ أَبْدُ في حُبِّهِ خُضوعًا ... فَلَيْسَ ذُلُّ الْهَوَى بِعَارِ
لَوْ كَانَ في الْحُبِّ لِي اخْتِيارٌ ... لَكَانَ تَرْكِي لَهُ اخْتِيارِي
مَنْ رُوحُه في يَدَيْ سِوَاهُ ... فَهْوَ حَقِيقٌ بِأَنْ يُدَارِي
لا تَحْمَدُونِي على احْتِمَالِي ... هَوَانَه، واحْمَدُوا اصْطِبارِي

---

(١) مصادرها : حلبة الكميت ، ظهر ص ٧٥ . ونهاية الأرب ٤ : ١١٠ . ويتيمة الدهر ١ : ٣٣٩ .
(٢) الإزار : كل ما سترك ، والملحفة . ورواية البيت في اليتيمة : حملت كأسه ... كفه ...
(٣) رواية الحلبة : لؤلؤ الحباب .
(٤) مصادرها : نهاية الأرب ٣ : ٢٩٤ .
(٥) نم بالسر : أفشاه وأشاعه . والمسترعيه : الطالب منه حفظه .
(٦) النصول هنا : نصول الخضاب ، أي زواله عن الشيب . والعقار : الخمر .
(٧) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٢٧ .
(٨) خلع عذره : اتبع هواه وتمادى في الضلال . واشتهاري : يريد شهرتي بخلع العذار .

٣١ — قَسَم [١] :

بِما بِعَيْنَيْكَ مِنْ فُتُونٍ ... ومن فُتُورٍ بها وسِحْرِ [٢]

وبالعِــذارِ الَّذِى تَوَلَّى ... خَلْعَ عِذَارِى وبَسْطَ عُذْرِى [٣]

ومَضْحَكٍ مِنْــكَ لُؤْلُؤِىٍّ ... مُمْتَزَجٍ مِسْكُهُ بِخَمْرِ [٤]

جُدْ لِىَ بالصَّفْحِ عن ذنوبى ... أَوْ لا ، فَعَاقِبْ بغيرِ هَجْرِ

٣٢ — الخَشْخَاش [٥] :

وخشخاش كأنَّا منه نَقْرِى ... قَمِيصَ زبرجدٍ عن جِسْمِ دُرٍّ [٦]

كأقْدَاحٍ مِنَ البَلُّورِ صِيغَتْ ... بأَغْشِيَةٍ مِنَ الدِّيبَاجِ خُضْرِ

٣٣ — الرَّازِيانج [٧] :

أَخذتُ مِن كفِّ الغزالِ الأَحْوَرِ ... غُصْنًا مِنَ البَسْبَاسِ مَمْطُورًا طَرِى [٨]

كأنَّه فى عيْنِ كلِّ مُبْصِرِ ... مِذَبَّةٌ من الحريرِ الأَخضرِ [٩]

---

(١) مصادرها : يتيمة ١ : ٣٤١ .

(٢) الفتون : الفتنة والاستمالة والقدرة على إثارة الإعجاب . والفتور : السكون والاسترخاء.

(٣) العذار : الموضع الذى ينبت عليه شعر اللحية من الخد . والعذار فى الاستعمال الثانى : بمعنى الحياء ، وخلعه يريد به التمادى فى الهوى والضلال .

(٤) المضحك : الثغر الضاحك . ووصفه بطيب الرائحة والطعم كالمسك والخمر ، وفى الأصل : مسكه ، وبها يختل الوزن والمعنى .

(٥) مصادرها : نهاية الأرب ١١ : ٢٦ . وحسن المحاضرة ٢ : ٢٩٧ .

(٦) نقرى : نقطع ونشق .

(٧) مصادرها : نهاية الأرب ١١ : ٨٣ .

والرازيانج نبات متعدد الأنواع (نهاية الأرب ١١ : ٨١) .

(٨) الأحور : الشديد بياض العين وسواد سوادها . والبسباس : هو اسم الرازيانج فى بلاد المغرب ومنها مصر . وممطورا : أصابه المطر .

(٩) المذبة : ما يذب به ، أى يدفع ويمنع .

٣٤ – الآس (١) :

خَلِيلَيَّ ما للآسِ يَعْبَقُ نَشْرُهُ   إذاهَبَّ أنفاسُ الرِّياحِ العَواطِرِ (٢)

حكى لونُه أصْداغَ رِيمٍ مُعذَّرٍ   وصُورتُه آذانَ خَيْلٍ نَوافِرِ (٣)

٣٥ – الربيع (٤):

فُرِشَ الْفَضاءُ بأحْمرٍ وبأصفرٍ   وبَدَتْ لنا حُلَلُ الرَّبيعِ الْمُزْهِرِ (٥)

حُلَلٌ تُعَدُّ – إذا اجتهدتَ – مُقَصِّرا

في وَصْفِها ، وتَكونُ غيْرَ مُقَصِّرِ

هَذِي الرياضُ كأنَّهُنَّ عَرائِسٌ   يَخْتَلْنَ بين تَمايُلٍ وتَبَخْتُرِ

في جوهرٍ فاقَ الجواهرَ قِيمةً   لو أنه يَبْقَى بقاءَ الجَوْهرِ

سِرٌّ أسَرَّ بِهِ السَّحائِبُ في الثَّرَى (٦)

فأذاعه ، فأذاعَ أحْسَنَ مَنْظَرِ

زمنٌ أغرُّ فلو شَرَيْتَ بِطيبِه   طِيبَ الجِنانِ لَكانَ أرْبَحَ مَتْجَرِ (٧)

---

(١) مصادرها : نهاية الأرب ١١ : ٢٤٢ ، وحسن المحاضرة ٢ : ٢٩١ . ومباهج الفكر ٤٢٩ . والآس سيد الرياحين ، ويعظم حتى يصير شجرا ويثمر ثمرا قدر الحمص ، وهو ثلاثة أنواع : أخضر وهو المشهور ، وأصفر وهو مانفد من ورق الأول ، وأزرق ويسمى الخسرواني ، وبعض ورقه طويل محدد وبعضه مدور . (النهاية وحسن المحاضرة) .

(٢) عبق : انتشرت رائحته . والنشر : الرائحة .

(٣) الريم : الظبي الأبيض ، ويريد به الغلام . ومعذر : نبت شعر عذاره ، فهو مخضر اللون .

(٤) مصادرها : حلبة الكميت ، الورقة ٢٠٥ . ومنها بيتان في مباهج الفكر ٢٩٣ .

(٥) المزهر : ذو الأزهار .

(٦) أسر به : تحدث به سرا . وهي رواية المخطوط ، وفي المطبوع : أسرته ، أي خبأته .

(٧) زمن أغر : هني سعيد . والجنان : الفردوس . والمتجر : التجارة . يقول لو اشترى الإنسان الربيع وترك الجنة لكان رابحا . وقد سبق له ما يقارب هذا المعنى في المقطوعة رقم ٢٧ . ورواية النسخة المطبوعة : أطيب متجر .

والسَّرْوُ تَثْنِيهِ الرياحُ لَواعبًا ... مِنْ فَوْقِ جَدْولِ مائِهِ المُتَفَجِّرِ (١)
كالجُنْدِ فى خُضْرِ الملابسِ حاولوا ... أمْرًا ، فَبَيْنَ مُقلِّصٍ ومُشمِّرٍ (٢)
زمنٌ متى أبصرتَهُ وكففتَ عن ... خَلْعِ العذارِ بِحُسْنِهِ لم تُعْذَرِ (٣)
وافَى على أثرِ الشتاءِ كأنَّه ... إقبالُ جَدٍّ بَعْدَ أمْرٍ مُدْبِرِ (٤)
فكأنَّ ذلك كان وَجْهَ مُهَدِّدٍ ... وكأنَّ هذا جاء وَجْهَ مُبَشِّرِ
وَوَرْدٌ كَوَجْنةِ كاعبٍ قدْمُوزِحَتْ ... فتراجَعَتْ خَجْلَى بِفَرْطِ تغيُّرِ (٥)
فكأنَّما النَّارَنْجُ فى أغصانِهِ ... أُكَرٌ خُرِطْنَ من العقيقِ الأحمرِ (٦)
وكأنَّ زهرَ الباقِلاءِ دراهمٌ ... قد ضُمِّخَتْ أوساطُها بالعَنْبَرِ (٧)
وكأنَّه مِن فوقِ خُضْرِ غصونِهِ ... يرنو بمقلةِ أقْبَلٍ أو أحْوَرِ (٨)
وكأنَّما الأُتْرُنْجُ أكْؤسُ عَسْجَدٍ ... ولها مَقابِضُ من حريرٍ أخضرِ (٩)
والنَّرْجِسُ الرَّيانُ بين رياضِهِ ... يَرْنُو بعينِ الباهتِ المُتَحَيِّرِ (١٠)
والجُلَّنارُ يُريكَ فى أثوابِهِ ... نَوْعَيْنِ بين مُزَعْفَرٍ ومُعَصْفَرِ (١١)

---

(١) السرو : شجر قويم الساق حسن الهيئة .
(٢) المقلص والمشمر : بمعنى واحد .
(٣) خلع العذار : التمادى فى اللهو والهوى . (٤) الجد : الحظ السعيد .
(٥) الكاعب : الفتاة التى برز ثدياها .
(٦) النارنج : ضرب من الليمون . والأكر : الكرات ، جمع أكرة .
(٧) الباقلاء : الفول . وضمخت : لطخت . وفى مباهج الفكر : ورد الباقلاء .
(٨) البيت فى مباهج الفكر وليس فى الحلبة . والأقبل : الذى يقبل سواد عينيه على أنفه .
(٩) الأترنج : ثمر من جنس الليمون والعسجد : الذهب والبيت ساقط من النسخة المطبوعة .
(١٠) النرجس : نبت من الرياحين ، وله زهر أصفر مستدير تشبه به العيون . ويرنو : يديم النظر بسكون الطرف . والباهت : الساكت المتحير .
(١١) الجلنار : زهر رمان برى . والمزعفر : المصبوغ بالزعفران . والمعصفر : المصبوغ بالعصفر . والزعفران فيه حمرة ، أما العصفر ففيه صفرة .

٣٦ — نحوىّ شاعر(١):

عَلَيكَ بالنَّحْوِ لا تَعرِضْ لصَنْعَتنا ... فإنَّ شِعرَكَ عِندِى أَشْهرُ الشُّهرِ(٢)
لوكَانَ بالنَّحْوِ قَوْلُ الشِّعْرِ مُكتسبًا ... كَانَ الخَليلُ بِهِ أحظَى مِنَ البَشَرِ

٣٧ — أُرجوزة فى وصف الفصول الأربعة(٣):

ياسائلى عَنْ أطْيبِ الدُّهورِ ... وَقعْتَ فى ذاكَ عَلَى الخَبِيرِ
سأَلْتَنِى : أىُّ الزَّمانِ أحْلَى ... وَأيُّهُ بالقَصْفِ عِندى أوْلَى؟(٤)
عِندىَ فى وَصْفِ الفُصُولِ الأَرْبَعَهْ
مقالَةٌ تُغْنِى اللَّبيبَ مُقْنِعَهْ

فصـــل الصيف

أَمَّا المَصِيفُ فاسْتَمِعْ ما فيهِ ... من فِطَنٍ يُفهِمُ سامِعِيهِ
فصلٌ مِنَ الدَّهْرِ إذَاقِيلَ : حضَرْ ... أَذْكَرَنا بحَرِّهِ نَارَ سَقَرْ(٥)
تُبصِرُ فيهِ النَّبْتَ مُقْشعِرًّا ... وَالأَرضَ تَشْكو حَرَّهُ المُضِرَّا(٦)
نهـــارُهُ مُقَسَّمٌ بَينَ قِسَمْ ... جميعُها يُعابُ عندى ويُذَمّ(٧)

---

(١) مصادرها : المنصف لابن وكيع ، الورقة ٨٩ . (٢) الشهر : الفضائح ، جمع شهرة .

(٣) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٢٣ . ونهاية الأرب ١ : ١٧٩ (عدا بعض أبيات) . وحلبة الكميت ، الورقة ٢١٢ (فصل الربيع وحده) .

(٤) هذا البيت وما قبله ليسا فى نهاية الأرب . والقصف : اللهو والأكل والشرب .

(٥) فى اليتيمة : فصل من الصيف . وسقر : جهنم .

(٦) القشعر : الجاف المتغير اللون ، ورواية الشطر الأول فى نهاية الأرب .

* يظل فيه النبات مقشعرا *

(٧) هذا البيت غير موجود فى نهاية الأرب .

أوَّلُه فيـــه ندًى مُبَغِّضُ   كأنَّهُ عَلَى الْقُلوبِ يَقْبِضُ (١)
يَلصَقُ منه الجِسْمُ بالثيابِ   وَتَعلَقُ الأذْيالُ بالترابِ (٢)
حتَّى تراها مثلَ مِنْدِيلِ الغَمَرْ   فيهنَّ تخطيطٌ كتَخطيطِ الحِبَرْ (٣)
حتى إذا ما طردَتْهُ الشمسُ   وفرِحتْ بأن يزولَ النفسُ
فتَّحت النـــارُ له أبوابَها   وشبّ فيها « مالكٌ » شهابَها (٤)
حَرٌّ يُحيـــلُ الأوجُهَ الغُرَّانا   حتى تَرى الرومَ به حُبْشانا (٥)
يعلوبه الـكَرْبُ ويشتدُّ القَلَقْ   وتنضحُ الأبدانُ منه بالعَرَقْ (٦)
تُبْصِرُهُ فوق القميص قد عَلا   حتى تَرى مُبْيَضَّهُ مُصَنْدَلا (٧)
إن كانَ رثًّا زاد في تَمزيقِهِ   أو مُسْتَجَدًّا حلَّ حبلَ زِيقِهِ (٨)
ثم يُعيـــدُ الماءَ نارًا حاميَهْ   يَزيدُ في كَرْبِ القلوبِ الصاديَهْ (٩)
شاربُهُ يَكْرَعُ في حَميمِ   كأنَّه من ســاكِني الجَحيمِ (١٠)
يُنسيهِ ما يَلقَى من التهابِهِ   أن يَحمَـــدَ اللهَ على شرابِهِ

---

(١) رواية البيت في نهاية الأرب :

أوله فيه ندى منغص   كأنه على القـــلوب يقنص

(٢) رواية البيت في نهاية الأرب :

يلصق منه الجـــلد بالثياب   ويعلق الـــتراب بالأثواب

(٣) هذا البيت غير موجود في نهاية الأرب . والغمر : زنخ اللحم ودسمه . والحبر : نوع من برود اليمن .

(٤) مالك : حارس النار . (٥) الغران : البيض ، ويحيلها : أى يغيرها سودا .

(٦) في نهاية الأرب : فيه ، في موضع : منه . وفي اليتيمة : وتنضج الابدان .

(٧) مصندل : أى بلون الصندل ، وهو شجر هندى أحمر اللون أو أصفره .

(٨) في نهاية الأرب : جد حبل زيقه ، والزيق : ما أحاط من الثوب بالعنق .

(٩) الصادية : العطشى . وفي اليتيمة : الصاوية .

(١٠) يكرع : يشرب كالحيوان بمد عنقه في الماء وتناوله بفمه . والحميم : الماء الساخن .

حَتَّى إذا عَنَّا انقضى نهارُهُ[١] وأُرخِيَتْ من ليلِهِ أستارُهُ
تحركتْ فى جُنْحِـه دَواهِي ساريةٌ وأنتَ عنها ساهِي[٢]
من عَقْربٍ يَسْعَى كَسَعْيِ اللِّصِّ سِلاحُها فى إبَرٍ كالشِّصِّ[٣]
وَحَيَّـةٍ تَنفُثُ سُمًّا قاتلا تُزَوِّدُ الْمَلْدُوغَ حَتْفا عاجلا[٤]
تُبْصِرُ ما فى جلْدِها من الرَّقشْ كَوَجْنَةٍ مُصْفَرَّةٍ فيها نَمَشْ[٥]
لو نَهشَتْ بالنَّاب منها الْخَضْرَا لبَتَرَتْ منـه الحيـاةَ بَتْرَا[٦]
فإنْ أردتَ الشُّرْبَ فى إبَّانِهِ عَلَى الذى وصفتُهُ من شانِهِ
أَبْشِرْ بما شئتَ من الصُّراعِ فضلاً عن التَّهويسِ والصُّداعِ
وَعِلَلٍ تُعجِزُ إحصاء العَدَدْ من جَرَبٍ وَمِن دُوَارٍ وَرَمَدْ
وَبَعْدُ، حُمَّى الْكَبِدْ لا تَنْسَاهُ لأنَّهُ أوَّلُ ما تَلْقَـاهُ
وَلاَ تَقُلْ إنْ جاء يوما أهْـلا فلعنةُ اللهِ عليهِ فضْـلا[٧]

(١) فى نهاية الأرب : إذا أعيا . تحريف .

(٢) جنحه : ظلامه . وسارية : تسير ليلا . وفى نهاية الأرب : وأنت عنها لاهى .

(٣) فى نهاية الأرب : سلاحها فى إثره ، ولعلها محرفة عن : إبرة . والشص : الحديدة المعقوفة التى يصاد بها السمك (الصنارة) .

(٤) تنفثه : ترمى به . وفى نهاية الأرب : تزود الملسوع .

(٥) فى نهاية الأرب : ما بجلدها . والرقش : النقط السوداء والبيضاء .

(٦) الخضر : صاحب موسى الذى اشتهر بطول العمر . وبترت : قطعت . ورواية الشطر الثانى فى نهاية الأرب * لنترت منه الحياة نترا * والأبيات الأربعة الآتية ليست فى نهاية الأرب .

(٧) فى نهاية الأرب : فلا تقل .

فصـــــل الخريف

حتى إذا زالَ أتى الخريفُ فصلٌ بكلِّ سوءةٍ معروفُ(١)

أهويةٌ تُسرِعُ فى كُلِّ الجَسَدْ وَهُوَ كطَبْعِ الموتِ يُبْسًا وَبَرَدْ(٢)

يُخشَى على الأجسام من آفاتِهِ فأرضُه قرعاءُ مِن نبـــاتِهُ

لا يُمْكِنُ الناسَ اتقاءُ شرِّهِ من اختلافِ بَرْدِهِ وَحَرِّهِ(٣)

تُبصِرُهُ مثلَ الصَّبيِّ الأَرْعَنِ فى كثرةِ التَّغييرِ والتَّلَوُّنِ(٤)

فإنْ أردتَ الشُّربَ للعُقَـــارِ فى حِينِهِ باللّيـــلِ والنَّهارِ(٥)

فأنتَ منه خائفٌ على حَذَرْ لأنَّهُ يَمْزُجُ بالصَّفْوِ الكَدَرْ

أحسنُ ما يُهْدِى لكَ النَّسيمَا يُقلِبُه فى ســاعةٍ سَمُومًا(٦)

وَهُوَ على المَعْدُودِ مِن ذنوبِهِ خيرٌ مِنَ الصَّيفِ على عُيوبِهِ

---

(١) السوءة : الصفة القبيحة .

(٢) رواية البيت فى نهاية الأرب :

أهونه يسرع فى حل الجسد وهو كطبع الموت يبس وبرد

ويريد بالشطر الثانى أنه يابس بارد كالموت ، تبعا لنظرية الأخلاط والطبائع الأربع عندهم وعند الإغريق القدماء .

(٣) فى نهاية الأرب : ولا خلاف برده وحره .

(٤) فى نهاية الأرب : من كثرة المشاق والتلون .

(٥) ليس هذا البيت فى نهاية الأرب . والعقار : الخمر .

(٦) السموم : الريح الشديدة الحرارة .

فصل الشتاء

حتى إذا ما أقبـــلَ الشتاء   جاءتْك منه غُمَّـــةٌ غَمّاء[1]

أقبلَ منه أَسَـــدٌ مَزِيرُ   له وَعيـــدٌ وله تَحْذِيرُ[2]

لو أنّه رُوحٌ لكان فَدْما   أو أنّه شخصٌ لكان جَهْما[3]

يأتيكَ في إبّانِهِ رياحُ   ليسَ على لاعِنها جُناحُ[4]

حَرَاكُها ليس إلى سكونِ   تَضُرّ بالأسمـــاعِ والعيون

يَحْدثُ من أفعالِها الزُّكامُ   هَـــذا إذا ما فاتكَ الصُّدامُ[5]

ثم يَليها مَطَرٌ مُـــداوِمُ   كأنه خَصْمٌ لنا مُلازِمُ

يَقطعُنا بُغْضًا عن الطريقِ   وعن قضاءِ الحقّ للصديقِ

وربّما خَرَّ عليكَ السقفُ   وإنْ عفا عَنْك أتاكَ الوَكَفُ[6]

هذا ، وكَمْ فيه من المَغارِمِ   وكثرةِ الإنفاقِ للدّراهمِ

في مَلبسٍ يدفعُ شَرَّ بَرْدِهِ   يَكُفُّ عنّا منْهُ غَرْبَ حَدِّهِ[7]

---

(١) الغمة : الداهية . والغماء : الشديدة . وفى نهاية الأرب : عمياء .

(٢) رواية الشطر الأول فى نهاية الأرب : * يلقاك منه أسديزير * ووضع البيت بعد البيت الآتى . ومزير : أى شديد القلب قوى نافذ ، وقد مزر مزارة .

(٣) الفدم : الأحمق الغليظ . والجهم : العابس .

(٤) إبانه : وقته ، وفى نهاية الأرب فى موضعها : أيامه . والجناح : الإثم .

(٥) الصدام : داء فى رءوس الدواب . وقال ابن شميل : داء يأخذ الإبل فتخمص بطونها ، وتدع المــاء وهى عطاش أياما ، حتى تبرأ أو تموت . ويبدو أنه يطلق على نوع من الدوار أيضا ، فيقال صدمة الخمر .

(٦) فى نهاية الأرب : فإن . والوكف : الماء المتساقط قطرة قطرة من سطح البيت . والأبيات الأربعة التالية غير موجودة فى نهاية الأرب .

(٧) الغرب : الحد ، ويريد هنا شدته .

ملابسُ تُعيِي الجَليدَ حَمْلَا　　كأنما يحملُ منها ثِقْلا[١]

يَحْكِي بها المَنْخُوفُ أصحابَ السِّمَنْ

لكنْ تَراهُ سِمِنًا غيرَ حَسَنْ

فإنْ أردتَ بالنهارِ الشُّرْبَا　　فيهِ فقد قاسَيْتَ خَطْبًا صَعْبا[٢]

واحتجتَ أن تُوقِدَ فيه النَّارا　　تُطيرُ نحو الحدَقِ الشَّرارا[٣]

تَتْرُكُ مُبْيَضَّ الثيابِ أرْقَطَا　　تَحْكِي السَّعِيديَّ لك المُنَقَّطا[٤]

وبعدَ ذا تُسَدِّدُ النِّقابا　　من خوفِهِ وتُغْلِقُ الأبوابا[٥]

نعم ، وتُرْخِي نحوه السُّتُورَا　　حتى تَرَى صباحَه دَيْجُورا[٦]

يُحْسِنُ لونَ الرَّاحِ فيه لا يُرَى　　لأنه صارَ سَواءً والدُّجَى

تَشربُ فيه إنْ شربتَ الخَمْرَا　　ليسَ لأن تَلْهُوَ أو تُسَرَّا

لكنْ لِتَحْمِي خَصَرَ الأعضاءِ　　فشُرْبُها ضَرْبٌ من الدَّواءِ[٧]

وإنْ أردتَ الشُّرْبَ فى الظلامِ　　عاقَكَ عن تَناوُلِ المُدامِ

حَسْبُكَ أن تَنْدَسَّ فى اللِّحافِ　　من خشيةِ[٨] البردِ على الأطرافِ

ورِعْدَةٍ تَشغَلُ عن كلِّ عَمَلْ　　وتُؤْثِرُ النومَ وتَستحلي الكَسَلْ[٩]

---

(١) الجليد : ذو القوة والصبر والصلابة .

(٢) فى نهاية الأرب : وإن أردت فى النهار الشربا . والخطب : الكرب والأمر الصعب .

(٣) فى نهاية الأرب : توقد فيه نارا . والحدق : العيون .

(٤) الأرقط : الأبيض المشوب بالسواد . والسعيدى : نوع من الثياب اليمنية .

(٥) النقاب : الثقوب ، جمع نقب . وفى اليتيمة : الثقابا .

(٦) الديجور : الظلام . وليست الأبيات الثلاثة الآتية فى نهاية الأرب .

(٧) الخصر : البرد يجده الإنسان فى أطرافه . (٨) فى اليتيمة : وخشية . تحريف .

(٩) فى نهاية الارب : ورعده يشغل ... مع تذكير بقية الأفعال . وفى اليتيمة المخطوطة (أدب ٨٥١ بدار الكتب) وتورث النوم .

حتى إذا مِلْتَ إلى الرُّقادِ نمتَ على فَرْشٍ من القَتادِ(١)
إنّ البراغيثَ عذابٌ مزعِجُ لكلِّ ما قلبٍ وجِلْدٍ تُنضِجُ(٢)
لا يستلذ جَنْبُهُ المَضاجِعا كأنما أفرشْتَه مباضِعا(٣)
قُبِّح فصلا فوقَ ما ذَمَمْتُه لو أنّه يظهرُ لى قَتَلْتُه(٤)
حتى إذا ما هُوَ عنّا بانا وزال عنا بعضُه ، لا كانا !(٥)

فصل الربيع

جاء إلينا زمنُ الربيعِ فجاء فصلٌ حَسَنُ الجميعِ(٦)
لِبَرْدِهِ وحَرِّهِ مقدارُ لم يَكْتَنِفْ حَدَّهما الإكثارُ(٧)
عُدِّلَ فى أوزانه حتى اعتَدلْ وحُمِدَ التَّفصيلُ منه والجُمَلْ
نهارُه من أحسنِ النهارِ فى غايةِ الإشراقِ والإسفارِ(٨)
تضحكُ فيه الشمسُ من غيرِ عَجَبْ كأنَّها فى الأُفْقِ جامٌ من ذَهَبْ(٩)
وَلَيلُهُ مُسْتَلْطَفُ النَّسِيمِ مُقَوَّمٌ فى أحسنِ التَّقْويمِ

---

(١) فى نهاية الأرب : حتى إذا جئت . والقتاد : نبت له شوك .

(٢) رواية الشطر الثانى فى نهاية الأرب :

* لكل قلب وجلد ينضج *

(٣) فى نهاية الأرب : لا يستلذ جلدك . وأفرشته : جعلته فراشا له . والمباضع : جمع مبضع ، وهو مشرط الجراح يشق به الجلد ونحوه .

(٤) فى نهاية الأرب : تنح فصلا . أى ابعد (٥) بان : فارق .

(٦) الكلام من هنا فى حلبة الكميت أيضا . وروايتها : أهدى إلينا زمن الربيع . ولن أعول على النسخة المطبوعة ، ولن أذكر روايتها ، لأنها مليئة بالتحريف ، وإنما اعتمادى على المخطوطة .

(٧) فى نهاية الأرب : إكثار . واكتنفه : أحاط به .

(٨) فى نهاية الأرب : فى أحسن . وفى الحلبة : غاية الإشفاف . والإسفار : بمعنى الإشراق والضياء . (٩) جام : كأس .

لِبَدْرِهِ فَضْــلٌ عَلَى البُدورِ   فى حُسنِ إشْرَاقٍ وَفَرْطِ نُورِ

كَجامَةِ البَــلُّورِ فى صفائِهَا   أو غرَّةِ الحَسْناءِ فى نقابِهَــا (١)

كأنَّها إذا دَنَتْ مِن نَحْرِهِ   جَوْزاؤه قبلَ طلوعِ فَجْرِهِ (٢)

رُومِيَّــةٌ حُلَّتُهَــا زرقاءُ   فى الجِيدِ منها دُرَّةٌ بيضاءُ

هذا ، وَكَمْ يَجْمَعُ من أُمورِ   إسرافُ مُطْرِيها من التَّقْصيرِ (٣)

فيه تَظَلُّ الطيرُ فى تَرَنُّمِ   حاذقةً باللحنِ لم تُعَــلَّمِ

غناؤُها ذو عُجْمةٍ لا يَفْهَمُهْ   سامعُهُ وهو على ذا يُغْرَمُهْ (٤)

من كُلِّ دُبْسِيٍّ له رَنِينُ   وكلِّ قُمْرِيٍّ له حَنِينُ (٥)

فى قُرْطَقٍ أُعْجِلَ أن يُوَرَّدَا   خاط له الخياطُ طَوْقًا أسودا (٦)

تُبْصِرُهُ منـه على الحَيْزُومِ   كمثلِ عِقْدِ سَبَجٍ منظومِ (٧)

هــذا وفيهِ للرياضِ منظرُ   يُفْشِي الثَّرَى من سِرِّها ما يُضْمِرُ (٨)

سِرَّ نباتٍ حسنُه إعلانُهْ   إذا سِــواهُ زانَه كِتْمانُهْ

---

(١) رواية الشطر الثانى فى الحلبة : * أنعبت الحراز فى نقابها * وفى النهاية : * أذابت الجراد فى نقابها . وغرة الحسناء : بياضها .

(٢) فى النهاية : دنت من بدره . والجوزاء : نجم مؤلف من عدة نجوم صغار فى وسط السماء .

(٣) البيت غير موجود فى الحلبة . وفى النهاية : إطراء مطريها . والإطراء : المدح .

(٤) وذو عجمة : أي غير فصيح ولا مفهوم . ويغرمه : يشتهيه .

(٥) البيت واللذان بعده غير موجودة فى الحلبة . والدبسى : ضرب من الحمام ، وقيل : طائر صغير أدكن يقرقر ، وقيل : إنه ذكر اليمام . والقمرى : ضرب من الحمام أيضا . والحنين : صوت يخرج من الصدر عند البكاء . (٦) القرطق : ضرب من الثياب .

(٧) هذا البيت فى النهاية وحدها . والحيزوم : الصدر . والسبج : خرز أسود .

(٨) فى النهاية والحلبة : من سره . ويضمر : يخفى .

فيه ضروبٌ للنّباتِ الغَضّ ... يحكِى لباسَ الْجُنْدِيومَ العَرْضِ (١)

من نَرْجسٍ أبيضَ كالثّغورِ ... كأنهُ مَخانقُ الكافورِ (٢)

وروضةٍ تُزْهِرُ من بنفسَجِ ... كأنَّها أرضٌ من الفَيْرُوزَجِ (٣)

قد لَبِستْ غِلالةً زرقاءَ ... فكايَدتْ بلونِها السماءَ (٤)

تُبْصِرُها كثا كلٍ أولادَها ... قد لَبِستْ من حَزَنٍ حِدادَها (٥)

يضحك فيها زهَرُ الشَّقِيق ... كأنّه مَداهِنُ العَقيقِ (٦)

مُضَمَّناتٍ قِطَعًا من السَّبَجْ ... فأشرقتْ بين احمرارٍ ودَعجْ (٧)

كأنَّما الْمُحمَرُّ فى الْمُسْوَدِّ ... منه إذا لاحَ ، عُيونُ الرُّمْدِ

أمَا تَرَى أُتْرُجَّه ما أحْسَنَهْ ! ... يختالُ فى غلائلٍ مُبَيَّنَهْ (٨)

وانظرْ إلى الخَشْخاشِ إن نظرتَا ... يَحْكِى كُراتٍ ظُوهِرَتْ كَيْمَخْتَا (٩)

وارْمِ بعينيك إلى البَهارِ ... فإنّه من أحْسنِ الأنْوارِ (١٠)

---

(١) فى النهاية : لنبات الغض . وفى الحلبة المطبوعة : لباس الجيل . والغض : الأخضر الطارى. والعرض : ما نسميه الاستعراض .

(٢) فى الحلبة : مخازن الكافور . والمخانق : جمع مخنقة أى قلادة محيطة بالعنق .

(٣) الفيروزج : حجر كريم أزرق . (٤) فى النهاية: وكايدت ، وفى الحلبة: وكابدت بلبسها .

(٥) ليس هذا البيت فى النهاية .

(٦) النهاية : يضحك منها . والشقيق : زهر أحمر .

(٧) النهاية : قد أشرقت من. والسبج: الخرز الأسود. والدعج : سعة العين مع شدة سوادها ، ويريد هنا اللون (٨) هذا البيت والذى بعده غير موجودين فى النهاية. والأترج : نوع من الليمون.

(٩) الحلبة : إن أردنا ، فى موضع : إن نظرتا . ظوهرت : أى جعل لها غشاء ظاهر . والكيمخت : لم أجده فى المعاجم ، وهى لفظة فارسية بمعنى الكيمخت ، أى أحمر مائل إلى السواد .

(١٠) البهار : زهر أصفر اللون .

كأنّه مَداهِنٌ مِن عَسْجَدِ قد سُمِّرتْ في قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ(١)
فانهضْ إلى اللهوِ ولا تَخلَّفِ فلستَ في ذلك بالْمُعَنَّفِ
واشربْ عُقارًا طالَ فينا كونُها يَصْفَرّ من خوفِ الْمِزَاجِ لونُها(٢)
من كفِّ ظَبيٍ من بني النصارَى ألبابُنا في حُسْنِهِ حَيارَى(٣)
إذَا بَدَا جمالُه لذِي النَّظرْ قالَ: تعالَى اللهُ! ما هذا بَشَرْ!
يُبْدِي جمالا جَلَّ عن أنْ يُوصَفَا لو أنه رزقُ حَريصٍ لا كْتَفَى
تَزِينُه أحشاءُ كَشْحٍ طَاوِيَهْ وَسُرَّةٌ مَحْشُوَّةٌ بالغَالِيَهْ(٤)
لا سِيَّما مَع مُسْمِعٍ وَزامِرِ قدْ سَلِما مِن وَحْشَةِ التَّنافُرِ(٥)

***

دُونَك هَذِي صفةُ الزمانِ مشروحةً في أحسنِ التِّبْيانِ
فأصْغِ نحو شَرْحِها كي تَسمَعا ولا تَكُنْ لحقِّها مُضيِّعا(٦)
وَارْضَ بتَقْليدِي فيما قلتُهُ فإنّني أدْرَى بما وصفتُهُ
ولا تعارِضْنِي في هذا العملْ فإنّني شيخُ الملاهِي والغَزَلْ(٧)

---

(١) ليس هذا البيت في مخطوط الحلبة ، وهو في المطبوع . والعسجد : الذهب . وسمرت : ثبتت بالمسامير .
(٢) العقار : الخمر . والمزاج : مزجها بالماء . وهذا البيت آخر ما في الحلبة .
(٣) هذا البيت والأربعة التي بعده غير موجودة في النهاية . وألبابنا : عقولنا .
(٤) الكشح : الخصر . والطاوية : الضامرة النحيلة . والغالية : الطيب .
(٥) المسمع : المغني . (٦) هذا البيت غير موجود في النهاية .

٣٨ — مُحْدَثُ نعمة(١) :

يا جامِّا زهْـوَ المُلو ... كِ وَلُؤْمَ أخلاقِ التِّجارْ
ارْجِـعْ إلى الفقرِ القَديـــمِ فقدفَسَدْتَ على اليَسَارْ(٢)
وخَطَرْتَ في سُكْرِ الغِنَى ... وأَمِنْتَ عاقِبَةَ الخُمارْ(٣)
أبديتَ وجهًا للعُفا ... ةِ مُقَنَّعا بِقِناعِ عارْ(٤)
لو أنه لُقِّيَ الحِجا ... رَ الصُّمَّ أَثَّرَ في الحِجارْ(٥)
أو كانَ تُرْسَ مُحاربٍ ... لارْتَدَّ عنهُ ذو الفَقارْ(٦)

٣٩ — السماء ليلا(٧) :

وَالجَوُّ صافٍ قد حَكَى ... بأَنْجُمٍ فيـــه غُرَرْ(٨)
جـــامَ زجاجٍ أزرقٍ ... قد نُثِرَتْ فيـــه دُرَرْ(٩)

٤٠ — روض وخمر(١٠) :

أَسْفَرَ عن بَهْجَتِهِ الدَّهرُ الأَغَرْ ... وَابتسمَ الروضُ لنا عن الزَّهَرْ(١١)

---

(١) مصادرها : المنصف لابن وكيع ، الورقة ٢٣ .
(٢) في الأصل : الفريم . تحريف .
(٣) الخمار : ألم الخمر وصداعها وما خالط من سكرها .
(٤) العفاة : الطالبو الفضل والمعروف ، جمع عاف .
(٥) الحجار : الأحجار ، جمع حجر .
(٦) ذو الفقار : سيف العاص بن منبه ، قتل يوم بدر كافرا، فصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم صار إلى علي .
(٧) مصادرها : ثمار الأزهار في الليل والنهار لابن منظور ١٤٠ .
(٨) حكى : شابه . والغرر : الضيئة ، جمع أغر . (٩) الجام : الكأس .
(١٠) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٢٩ . ومنها أبيات في نهاية الأرب ، وحلبة الكميت ، وحسن المحاضرة ، ومباهج الفكر .
(١١) أسفر : كشف . والأغر : الأبيض السعيد .

أَبْدَى لَنَا فَصلُ الربيعِ مَنْظَرًا　　بمثلِه تُفْتَن أَلْبابُ الْبَشَرْ
وَشْيًا وَلَكِنْ حَاكَهُ صَانِعُهُ(١)　　لا لابْتِذَالِ اللَّبْسِ لَكِنْ لِلنَظَر
عَايَنَهُ طَرْفُ السَّماءِ فَانْثَنَى　　عِشْقًا لهُ يَبْكِى بأَجفانِ الْمَطَر(٢)
فَالْأَرضُ فى زِىِّ عَرُوسٍ فَوْقَها　　من أَدْمُعِ الْقَطْرِ نِثَارٌ من دُرَر(٣)
وَشْىٌ طَوَاهُ فى الثَرَى صِوَانُه　　حَتَّى إذا مَلَّ من الطَّىِّ نَشَر(٤)
أَمَا تَرَى الْوَرْدَ كَخَدَّىْ كَاعِبٍ　　رَاوَدَها ـ فامتنعتْ منه ـ ذَكَر(٥)
كأَنَّما الْخَمرُ عَلَيْهِ نَفَضَتْ　　صِباغَها أو هِىَ منه تُمْتَصَر(٦)
أَخْجَلَهُ النَّرجِسُ إذْ جَادَلَهُ　　فاحمرَّ مِن فَرْطِ حَيَاءٍ وَخَفَر
قَالَ له : العينُ وَمَا الْخَدُّ لَهَا　　مُوَازِنًا فى عُظْمِ قَدْرٍ وَخَطَر
ماذا الذى يُرْجَى لَخدٍّ بَهِجٍ　　مُسْتَحْسَنٍ، صاحبُه أَعْمَى البَصَر؟(٧)
فاحمرّ من حُجَّتِه إذ ظهرتْ　　والحقُّ لا يُدْفَع يوما إنْ ظَهَر
وانظرْ إلى النَّارَنْجِ فى بَهْجَتِه　　يَلُوحُ فى أفنانِ هَاتِيكَ الشَّجر(٨)
مثلَ دنانيرِ نُضَارٍ أحمرٍ　　أو كَعَقِيقٍ خُرِطتْ منه أُكَر(٩)

---

(١) الوشى : الثياب الموشاة بالألوان المختلفة ، شبه بها الرياض .
(٢) فى نهاية الأرب : فانثنت ... تبكى .
(٣) القطر : المطر . والنثار : ماينثر ويفرق .
(٤) فى نهاية الأرب صيانة ، فى موضع : صوانه .
(٥) الكاعب : الفتاة التى نهد ثديها . وراودها : خادعها وطلب منها المنكر .
(٦) صباغها : لونها .　　(٧) بهج : جميل .
(٨) هذا البيت والذى بعده فى نهاية الأرب ١١ : ١١٦ . وفيه : ببهجاته . والأفنان : الغصون .
(٩) فى النهاية : مثل دبابيس . والنضار : الذهب . والأكر : الكرات .

وانظُرْ إلى المَنْثُورِ فى مَيدانهِ　　　يَرْنُو إلى النَّاظرِ من حيثُ نَظَر (١)
كجَوْهَـــرٍ مختلفٍ ألوانُه　　　أسلمه سِلْكُ نظامٍ فانْتَثر (٢)
كأنَّ نَوْرَ الباقِلاءِ إذْ بدا　　　لناظِريه أعينٌ فيها حَوَر (٣)
كمثل ألحاظِ اليعافيرِ إذا　　　روَّعها من قانصٍ فَرْطُ الحذر (٤)
كأنه مَداهنٌ من فضةٍ　　　أوْساطُها بها من المِسْكِ أثر (٥)
كأنها سَوَالِفُ من خُرَّدٍ　　　قد زَيَّنتْ بياضَها سُودُ الطُّرَر (٦)
وانظُرْ إلى الأَطْيارِ فى أرجائه　　　إذا دعَا الثَّاكِلُ منها وصَفَر (٧)

---

(١) هذا البيت والذي بعده موجودان فى نهاية الأرب ١١ : ٢٧١ ، وحسن المحاضرة ٢ : ٢٩٣ ومباهج الفكر ٤٣٥ وروته : انظر ، بدون واو . والمنثور : نبات جميل طيب الرائحة ، وساقه متينة تقرب من أن تكون خشبية مبيضة ، وتخرج منها جملة أغصان ، وأوراقه سهمية ، فيها بعض ضيق ، وله زهر مختلف ، بعضه أبيض وبعضه أصفر . ويرنو : يديم النظر والطرف ساكن ، وفى حسن المحاضرة : يدنو .　　　(٢) أسلمه : خذله ، يريد انقطع .

(٣) هذا البيت واثنان بعده فى نهاية الأرب ١١ : ٢٢ ، وكلها مع رابعها فى حسن المحاضرة ٢ : ٣٠٠ ومباهج الفكر ٢٩٣ والنور : الزهر الأبيض . وفى النهاية: ورد الباقلاء . والباقلاء : الفول ، ورواية البيت فى حسن المحاضرة :

ولاح نور الباقـــلاء ناظراً　　　عن مقـــلة تفتح جفنا من حور

ورواية مباهج الفـــكر مثل رواية حسن المحاضرة مع تغيير نور بورد . ونسب النويرى (١١ : ٢١) هذا البيت وحده إلى كشاجم .

(٤) اليعافير . الظباء التى لونها كلون التراب ، أو هى أولاد البقر الوحشى ، واحدها : يعفور . والقانص : الصائد . والبيت محرف فى حسن المحاضرة .

(٥) رواية البيت فى حسن المحاضرة .

كأنها مداهن من فضـــة　　　جـــلوة فيها من المسك أثر

وتتفق معها رواية مباهج الفكر ، مع تغيير « جلوة » بكلمة « يجلوه » .

(٦) اتفقت الروايتان هنا على لفظ « كأنها » مما يرجعه فى البيت السابق ، ليتسق الكلام كله ، ويريد بها نور الباقلاء . والسوالف : جمع سالفة وهى صفحة العنق عند معلق القرط . والخردجمع خريدة وهى البكر لم تمس أو الخفرة الطويلة السكوت الخفيضة الصوت . والطرر : جمع طرة ، وهى ما تقطعه الجارية فى مقدم ناصيتها . والرواية فى حسن المحاضرة : زينت سوادها . تحريف .

(٧) الثاكل : من فقد ولدا أو عزيزا عليه . وصفر : صوت .

كأنها تصفرُ فى رياضِها ... يِسْربُ قيانٍ فوق بُسْطٍ من حِبَرْ[1]

فانْهَضْ إلى اللَّهوِ ولذَّاتِ الصِّبَا ... لامَكَ مَنْ يَعْذِلُ فيها أو عَذَر

فقلَّما يُغْنِيك مَن يعذِل فيـ ... ما تَشْتهى حتى تُواريكَ الْحُفَر

فكيفَ هجرانُ اللّذاذاتِ ولمْ ... يَبْدُ نَهارُ الشَّيْبِ فى ليلِ الشَّعَر؟

والنُّسْكُ فى عصرِ الصِّبَا كأنَّه ... من قُبْحِهِ خَلْعُ عذارٍ فى الكِبَر

يا لائمًا يَعْذِلُنِى فى طَرَبِى ... حَسْبُكَ قدأكْثَرْتَ من هذا الهَذَر[2]

أعرفُ فضلَ العقلِ إلا أنَّه ... لِعَيْشِ مَنْ آثَرَهُ عَيْنُ الكَدَر

الجَهلُ يَنبوعُ مَسَرَّاتِ الفَتَى ... وَالعَقْلُ يَنبوعُ الهُمومِ والفِكَر

فاجْسُرْ عَلَى مَا تَشْتهى جهالَةً ... مَافازَ باللَّذَّاتِ إلَّا مَن جَسَرْ[3]

وَاشْرَبْ عُقارًا لَوْ أصابَتْ حَجَرًا ... لَطَارَ مِن خِفَّتِهِ ذاكَ الحَجَر[4]

عَدُوَّةَ الْحُزْنِ الذى ما ظفرتْ ... قطُّ به إلا أساءتْ فى الظَّفَر

لو رامَ أنْ يُجيرَهُ من كَيْدِهَا ... صَرْفُ الزَّمانِ الجَمُّ يومًا ما قدَر[5]

أرَقُّها الدهرُ إلَى أنْ شاكلتْ ... من رِقَّةٍ شِعْرَ جميلٍ وعُمَر[6]

---

(١) السرب : الجماعة .

(٢) الهذر : سقط الكلام ، أو الكلام الكثير فى خطأ .

(٣) أخذ قوله هذا من سلم الخاسر الذى قال :

من راقب الناس مات غما ... وفاز باللذة الجسور

وكان سلم قد أخذه من قول بشار بن برد :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

(٤) وهذا البيت أيضا ينظر فيه إلى قول أبى نواس :

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها ... إن مسها حجر مسته سراء .

(٥) صرف الزمان : حوادثه . وفى بعض نسخ اليتيمة لو رام أن يخفره .

(٦) يريد جميل بثينة وعمر بن أبى ربيعة شاعرى الغزل.

خفيَّةَ الحِيلةِ فى جسمِ الفتى تُحْدِثُ فى الجسم دبيبًا وَخَدَر[١]
كأنَّما الأوطارُ فيهـا جُمِّعتْ فليسَ فى العيشِ لجافيها وَطَر[٢]
لا سيَّما من كَفَ ظَبْىٍ لم يُشَنْ بفَرْطِ طُولٍ لا ولا فَرْطِ قِصَر
له سهامٌ من لِحَاظٍ صُيَّبٍ كأنَّما يَرْمِينَ عن قوسِ القَدَر[٣]
مُزَنَّرٍ شكَّكَنى فى دينـهِ حتى أحلْتُ الكُفْرَ فيمن قد كَفَر[٤]
لِأنَّه كالحُورِ فى تَصْويرِهِ وَالحُورُ لا يُسْكِنُها اللهُ سَقَر[٥]
لو لم يكن زُنَّارُهُ فى وَسْطِهِ يُمْسِكُ ضَعْفَ الخَصْرِ منه لانْبَتَر[٦]
وبان منه نِصفُه عن نِصفه لكنَّه جاء له على قَدَر[٧]
إن قلتُ : يَحْكِي قمرًا عنَّفنى عَقْلٌ له أعْدَمُه عنـد القَمَر[٨]
أنَّى يُوَازِيهِ وَهَـذَا نَاطِقٌ
وَذَاكَ إنْ خُوطِبَ لم يَنْطِقْ حَصَر؟![٩]
يالَكَ منـه مَنْظَرًا أشهَى إلى قلبى من جنَّةِ عَدْنٍ أو أَسَرّْ
ياطِيبَ ذِى الدُّنيـا لنَا مَنْزِلَةً لو لم نَكُنْ نُزْعَجُ منها بسَفَر

(١) الدبيب : الزحف . الخدر : الفتور .
(٢) الأوطار : الحاجات ، جمع وطر وجافيها : المبتعد عنها .
(٣) الصيب : التى تصيب الهدف دائما ، جمع صائب .
(٤) المزنر : الذى يلبس الزنار ، وهو الحزام . وأحلت : غيرت اعتقادى فى كفر الكفار .
(٥) الحور : النساء ذوات العيون الحوراء ، أى الشديدة البياض والسواد ، واشتهر إطلاقها على نساء الجنة . وسقر : النار . (٦) انبتر : انقطع
(٧) جاء له على قدر : أى فى وقته المناسب .
(٨) يحكى : يشابه . وأعدمه : لا أجده .
(٩) يوازيه : يعادله . والحصر : العى وعدم القدرة على الكلام أو عدم الفصاحة .

السـين

٤١ – فحم مشتعل[١] :

فَحْمٌ شَبَّهُ الْغُلامُ وَأَدْلَى ... فى كَوَانِينِهِ حَيَاةَ النُّفوسِ[٢]
كانَ كَالآبَنُوسِ غَيْرَ مُحَلَّى ... فَغَدَا وَهُو مُذْهَبُ الآبنُوسِ[٣]
لُقِّيَ النَّارَ فى ثِيابِ حِدادٍ ... فَـكَسَتْهُ مُصَبَّغَاتِ عَرُوسٍ[٤]

٤٢ – الحماحم[٥] :

هَـــذَا الْحَمَاحِمُ زَهْرٌ ... فيـــهِ حَيَاةُ النُّفُوسِ
كأنَّهُ حــينَ يَبْدُو ... بُرَادَةُ الآبَنُـــوسِ

٤٣ – تباشير الصباح[٦] :

غَرَّدَ الطَّيْرُ فَنَبِّهْ مَنْ نَعَسْ ... وَأَدِرْ كَأْسَكَ، فَالْعَيْشُ خُلَسْ[٧]
سلَّ سَيفَ الفجرِ من غِمْدِ الدُّجَى ... وَتَعَرَّى الصُّبْحُ مِن قُمْصِ الْغَلَسْ[٨]
وَبَدَا فى حُلَلٍ فِضِّيَّـــةٍ ... نالَها من ظلمةِ الليـلِ دَنَسْ[٩]
فَاسْقِنِي من قَهْوَةٍ مِسْكِيَّةٍ ... فى رِيَاضٍ عَنْبَرِيَّاتِ النَّفَسْ

---

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٤٣ .
(٢) شبه : أوقده · وأدلى : أنزل . والـكوانين : جمع كانون ، وهو الوقد .
(٣) محلى : مزين (٤) المصبغات : الملابس ذات الألوان والأصباغ المختلفة .
(٥) مصادرها : حسن المحاضرة ٢ : ٢٩٢ · ومباهج الفكر ٤٣٢ ·
والحماحم : الريحان النبطى ، وهو عريض الورق ·
(٦) مصادرها : ثمار الأزهار ٤٨ · والأبيات الثلاثة الأولى فى نهاية الأرب ١ : ١٤٤ ، وحلبة الـكميت ، الورقة ١٩٩ .
(٧) فى الحلبة : غرد القمرى · والخلس : فرص تختلس ، جمع خلسة ·
(٨) الدجى : الظلام · وقمص : جمع قميص . والغلس : ظلمة آخر الليل .
(٩) رواية البيت فى نهاية الأرب :
وانجلى فى حـلة فضيـة ... ما بهـا من ظلمة الليل دنس

العـــين

٤٤ — صورة الحبيب[١] :

صَـوَّرَه خَالِقُـهُ جَامِعًـا ... لِكُلِّ شَىْءٍ حَسَنٍ بَارِعِ
وَكُلُّ حُسْنٍ من جميع الوَرَى ... مُخْتَصَرٌ من ذلك الجامِعِ

٤٥ — نصيحة[٢] :

لا تقْبَلَنَّ من الرَّشِيدِ كلامهُ ... وإذَا دعَاكَ أخو الْغَوَايَةِ فَاسْمَعِ[٣]
ودَعِ التَّزَهُّدَ والتَّجَمُّلَ لِلْوَرَى ... فالْعَيْشُ لَيْسَ يَطِيبُ لِلْمُتَوَرِّعِ[٤]

الفـــاء

٤٦ — مزج الخمر بالماء[٥] :

كَأَنَّها فى الـكئوس إذْ جُلِيَتْ ... مِن عَسْجَدٍ رَقَّ لَوْنُهُ وَصَفَا[٦]
أغْضَبَها الْماءُ حِينَ مَازجها ... فأزْبَدَتْ فى كئوسِهَا أنَفَا[٧]

---

(١) مصادرها : بقية الدهر : ١ ٣٣٩ .
(٢) مصادرها : حلة الـكميت ١٢٢ (النسخة المطبوعة) وهى لامية القافية فى النسخة المخطوطة ، وفى مراجع أخرى . انظر المقطوعة رقم ٥٩ .
(٣) الرشيد : المهتدى والمستقيم فى طريق الحق . والغواية : الضلال .
(٤) التجمل : الصبر على الدهر . والورى : الناس .
(٥) مصادرها : وفيات الأعيـــان ٤ : ٣٣٣ ، تحقيق رفاعى ، فى الحواشى من إضافة السيد أحمد يوسف نجاتى .
(٦) جليت : أظهرت. والعسجد : الذهب.
(٧) أزبدت : أخرجت زبدها غضبا ، يريد به الحباب . والأنف : الـكبرياء .

٤٧ — إسراف الحبيب [١] :

تجاوزَ الإسرافَ فى ظُلمهِ　　حتى لقد همّ بإسْرافهِ
فثغرُهُ مظلومُ مِسْواكِهِ　　وَخَصْرُه مظلومُ أردافهِ
مَن ظُلْمُهُ جارَ عَلَى نفسِهِ　　كيفَ أُرجّى حُسْنَ إنصافهِ ؟

القـــــاف

٤٨ — هجاء [٢] :

أُناسٌ إذا غابُوا رَمَتْكَ سِهامُهم　　وَخصَّكَ منهم فى الحُضورِ التَمَلُّقُ
غُرورٌ لقاءٍ قد تَبَيَّنْتُ زُورَه　　فأصْبَحَ عِندِى بائِرًا لَيْسَ يَنْفُقُ [٣]
وَإنَّ امرأً نالَتْ يَداهُ كِفايَةً　　وَلازَمَ فِيهِمْ بَيْتَــهُ ، لَمُوَفَّقُ

٤٩ — سَلْوى [٤] :

سلاَ عَنْ حُبِّكَ القلبُ المَشُوقُ　　فَمَا يَصْبُو إليْكَ وَلاَ يَتُوقُ
جَفاؤُكَ كانَ عَنْـكَ لنَا عَزاءً　　وَقَدْ يُسْلِي عَنِ الوَلَدِ العُقُوقُ

---

(١) مصادرها : المنصف لابن وكيع ، الورقة ٨٦ .
(٢) مصادرها : رسالة ابن وكيع ، لمحمود الحنفى ذهنى ، ص ٤٢ .
(٣) ينفق : يروج ويرغب الناس فيه .
(٤) مصادرها : يتيمة الدهر ٣٤٠ . ومرآة الجنان ٢ : ٤٤٥ .

٥٠ — معشوق[1] :

عَشِقْتُ مَنْ لا أُلامُ فيهِ وما ... يَخْلُو مِنَ اللَّومِ كُلُّ مَنْ عَشِقَا
رَأْيُ الوَرَى في سِواهُ مُخْتَلِفٌ ... وَأَنْتَ تَلْقاهُ فِيـــهِ مُتَّفِقَا
وَكُلُّ قَلْبٍ إِلَيْهِ مُنْصَرِفٌ ... كَأَنَّهُ مِنْ جَمِيعِها خُلِقَا

قال الثعالبيّ : أَلَمّ فيه بقول إسحاق بن إبراهيم الموصليّ :
« خلق من كل قلب ، فهو يغني كلاً ما يشتهيه » .

٥١ — المطر والرعد والبرق[2] :

وَسَحابٍ إِذا هَمَى الْماءُ فِيهِ ... أَلْهَبَ الرَّعْدُ في حَشاهُ الْبُرُوقَا[3]
مِثْلُ ماءِ الْعُيونِ لَمْ يَجْرِ إِلاَّ ... ظَلَّ يُذْكِي عَلَى الْقُلُوبِ حَرِيقَا

٥٢ — متى يطيب الصَّبُوح[4] ؟

قُمْ فَاسْقِنِي صـــافِيَةً ... تَهْتِكُ جُنْحَ الْغَسَقِ ![5]
أَما تَرَى الصُّبْحَ بَدَا ... في ثَوْبِ لَيْلٍ خَلَقِ ؟[6]
أَما تَرَى جَـــوْزاءَهُ ... كَأَنَّهــــا في الأُفُقِ[7]
مِنْطَقَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ... فَوْقَ قَبـــاءٍ أَزْرَقِ

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٢٣٩ والمنصف ، الورقة ١١٠ .
(٢) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٢٣٨ . وحلبة الكميت ، الورقة ١٨٨ . وتزيين الأسواق ٢١٢ . وديوان الصبابة لابن أبي حجلة ١٤٩ .
(٣) همى ، سال وجرى بكثرة . وفي رواية اليتيمة : ألفت الرعد . . . تحريف .
(٤) مصادرها : نهاية الأرب ١ : ٦٦ .
(٥) تهتك : تمزق وتفضح . وجنح الغسق : القطعة منه . والغسق : ظلمة أول الليل والشاعر يريد هنا الغلس ، الذي هو ظلام آخر الليل .
(٦) الخلق : القديم البالي . (٧) الجوزاء : نجم معترض في وسط السماء .

٥٣ — مزج الخمر بالماء[(١)] :

وَصفراء مِنْ ماء الكرومِ كأنَّها
فِرَاقُ عَـــدُوٍّ أوْ لقاء صَدِيقِ
كأنَّ الحَبابَ المُسْتَدِيرَ بِطَوْقِهَا
كَوَاكِبُ دُرٍّ فى سَماءِ عَقِيقِ
صَبَبْتُ عَلَيْها المَاء حَتَّى تَمَوَّضَتْ
قَمِيصَ بَهارٍ مِنْ قَمِيصِ شَقِيقِ[(٢)]

٥٤ — صورة الحبيب[(٣)] :

جَوْهَرِىُّ الأوْصافِ يَقْصُرُ عَنْهُ
كُلُّ وَصْفٍ لِكُلِّ ذِهْنٍ دَقِيقِ
شَـــارِبٌ مِنْ زَبَرجدٍ ، وَثَنَايَا
لُؤْلُؤٌ ، فَوْقَهَا فَمٌ مِنْ عَقِيـــقِ

---

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٣٩ . ونهاية الأرب ٤ : ١١٦ . والمستطرف ٢ : ١٨٠

(٢) البهار : الأقحوان الأصفر . الشقيق : ذو ألوان كثيرة اشتهر منها الأحمر . ويريد الشاعر أن الخمر حين مزجها بالماء ، خلعت قميصها الأحمر ، وارتدت آخر أصفر .

(٣) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٣٨ .

الـــكاف

٥٥ — عودة إلى اللهو [١] :

عُدْتُ إِلَى الْغَيِّ بَعْدَ نُسْكِي   وَلَذَّ لِي فِيكَ طَعْمُ مَحْكِي [٢]
أَضْحَكُ لِلْكَاشِحِينَ جَهْرًا   وَلِي ضَمِيرٌ عَلَيْكَ يَبْكِي [٣]
تَمْنَعُنِي أَنْ أَبُوحَ نَفْسٌ   تَأْنَفُ مِنْ ذِلَّةِ التَّشَكِّي
عَيْنِي الَّتِي أَوْقَعَتْ فُؤَادِي   يَا عَيْنُ مَاذَا لَقِيتُ مِنْكِ ؟ !

الـــلام

٥٦ — خمرية [٤] :

عَلَّلْ فُؤَادَكَ وَالدُّنْيَا أَعَالِيلُ   لَا يَشْغَلَنَّكَ عَنِ اللَّهْوِ الْأَبَاطِيلُ [٥]
وَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْ أَمْرٍ هَمَمْتَ بِهِ   مِنَ الْعَوَاذِلِ لَا قَالٌ وَلَا قِيلُ
فَخَيْرُ يَوْمَيْكَ يَوْمٌ أَنْتَ فِيهِ إِذَا   مُيِّزْتَ فِي النَّاسِ مَحْمُودٌ وَمَعْذُولُ
وَإِنْ أَتَوْكَ فَقَالُوا : كُنْ خَلِيفَتَنَا   فَقُلْ لَهُمْ : إِنَّنِي عَنْ ذَاكَ مَشْغُولُ
فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ مَعْ نَفَاسَتِهِ   وَنُبْلِهِ بِفَنَاءِ الْعُمْرِ مَوْصُولُ
وَأَرْضُ الْخُمُولِ فَلَا يَحْظَى بِلَذَّتِهِ   إِلَّا امْرُؤٌ خَامِلٌ فِي النَّاسِ مَجْهُولُ

---

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٤١ .
(٢) الغى : الضلال والمجون . والمحك : النزاع فى الكلام والتمادى فى اللجاجة .
(٣) الكاشح : العدو الذى يخفى العداوة . والضمير : الأمر الباطن المخفى .
(٤) مصادرها يتيمة الدهر ١ : ٢٣٢ .
(٥) علل فؤادك : اشغله . والأعاليل : ما يشغل به المرء نفسه ، جمع أعلولة .

وَلاَ تَتبعْ عَاجِلَ الدُّنْيا بِآجِلِ ما تَرْجُو فذلِكَ أَمرٌ شأْنُهُ الطُّولُ

اسْفكْ دَمَ القَهْوَةِ الصَّهْباءِ تَحْىَ بِهِ روحِى فإنَّ دَمَ الصَّهْباءِ مَطْلُولُ (١)

يَاخائِفَ الإثْمِ فيها حينَ يَشْرَبُها لا تَقْنطَنَّ فَعفْوُ اللهِ مَأْمُولُ (٢)

قُمْ فاسْقِنِى النَّصَّ مما حَرَّمُوهُ وَلاَ تَعْرِضْ لما كَثُرَتْ فِيهِ الأَقاوِيلُ (٣)

مِنْ قَهْوَةٍ عُتِّقَتْ فى دَنِّها حِقَبًا كأنَّها فى سَوادِ اللَّيْلِ قِنْدِيلُ (٤)

عَرُوسِ كَرْمٍ أَتَتْ تَخْتَالُ فى حُلَلٍ

صُفْرٍ عَلَى رَأْسِها لِلْمَزْجِ إِكْلِيلُ

كأنَّها بِأَكُفِّ الْقَوْمِ إذْ جُلِيَتْ ذَوْبٌ مِنَ الذَّهَبِ الإِبْرِيزِ مَحْلُولُ (٥)

فى فِتْيَةٍ جَعَلُوا لِلَّهْوِ طَاعَتَهُمْ فَمَا لَهُمْ عَنْ طَرِيقِ اللَّهْوِ مَعْدُولُ (٦)

جليسُهم لَيْسَ يَرْوَى مِنْ حَدِيثِهِمُ

يَوْمًا وَبعضُ حَدِيثِ الْقَوْمِ مَمْلُولُ

لا كالَّذينَ إذا ما كُنْتَ حاضِرَهُمْ فَفى سُكُوتِهِمُ الْمَأْمُولُ وَالسُّولُ (٧)

تَرَى مَجالِسَهم مَمْلُوءَةً لَجَبًا وَكلُّ ذاكَ فُضولٌ عنكَ مَعْزُولُ (٨)

---

(١) القهوة هنا : الخمر . والصهباء : ما فيها حمرة أو شقرة ، وهى من صفات الخمر المشهورة . ومطلول : مهدر .

(٢) تقنط : تيأس .

(٣) يقول : اسقنى الخمر التى نص الفقهاء جميعا على تحريمها ، ولا تسقنى النبيذ أو ما شاكله مما اختلفوا فيه بين تحليل وتحريم .

(٤) الدن : وعاء كبير الخمر .

(٥) جليت : أظهرت . والذوب : الذائب الجارى . والإبريز : الخالص . والمحلول : السائل .

(٦) معدول : أى انحراف وانصراف .

(٧) السول : مخففة من السؤل بالهمز ، وهو ما يسأل ويؤمل فيه . (٨) اللجب : الجلبة .

٥٧ — دعوة على المحبوب[١] :

إنْ كنتَ تعلَمُ ما بى   وأنْتَ لسْتَ تُبالى[٢]

فصارَ قَلْبُـكَ قَلبى   وَصِرْتَ فى مثلِ حالى !

بل عِشْتَ فى طِيبِ عيْشٍ   تَقِيكَ نفسى وَمالى ![٣]

دَعَوْتُ إذْ ضَاقَ صَدْرى   عَلَيْـــكَ ثُمَّ بَدَا لى[٤]

٥٨ — المشمش[٥] :

بدا مشمشُ الأشْجَارِ فيها كأنَّهُ

يلوحُ عَلَى خُضرِ الْغُصُونِ الْموائِلِ

قِبَابٌ بِمُخضَرِّ الرّياحينِ غُشّيَتْ   وَقَدْ زُيِّنَتْ مِنْ عَسْجَدٍ بجلاجِلِ[٦]

٥٩ — خمرية[٧] :

لا تَقْبَلَنَّ مِنَ الرّشيدِ كلامه   وَإذا دعاكَ أخُو الْغَوايَةِ فاقْبَلِ

وَدَعِ التَّزَمُّتَ وَالتَّجمُّلَ لِلْوَرَى   فالْعيْشُ ليْس يَطِيبُ بالْمُتَجَمِّلِ

---

(١) مصادرها : المنصف ، الورقة ٦٢ ، وتزيين الأسواق ٢١٠ . وديوان الصبابة ١٤٧ .

(٢) فى تزيين الأسواق وديوان الصبابة : وأنت بى لا تبالى .

(٣) فى التزيين وديوان الصبابة : تفديك نفسى .

(٤) بدالى : أى بدا لى بداء ، ورجوع عن هذا الدعاء .

(٥) مصادرها : حلبة الكميت ، ظهر الورقة ١٤١ ونسبتها المطبوعة « لآخر » .

(٦) غشيت : غطيت . والعسجد : الذهب . والجلاجل : الأجراس الصغيرة ، جمع جلجل .

(٧) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٤٢

وورد البيتان الأولان فى النسخة المخطوطة من حلبة الكميت ، برواية أخرى جعلت العين قافية لهما . انظر المقطوعة رقم ٤٦ .

وَاشْرَبْ مُزَعْفَرَةَ الْقَمِيصِ سُلافَةً ... مِنْ صَنْعَةِ الْبَرَادنِ أَوْ قُطْرُبُّلِ [١]

كَأْسٌ إِذَا رَمَتِ الْهُمُومَ بِسَهْمِهَا ... لَمْ يُخْطِ نَافِذُهُ سَوَاءَ الْمَقْتَلِ [٢]

تَحْلُو وَتَعْذُبُ فِي النُّفُوسِ كَأَنَّهَا ... كَبْتُ الْعَدُوِّ وَرَغْمُ أَنْفِ الْعُذَّلِ

حَمْرَاءُ يَرْحُبُ كُلُّ صَدْرٍ ضَيِّقٍ ... مَعَهَا، وَيُفْتَحُ كُلُّ بَابٍ مُقْفَلِ

تَحْكِي ضِرَامَ النَّارِ إِلَّا أَنَّهَا ... نَارٌ لَعَمْرُكَ لَيْسَ تُؤْذِي الْمُصْطَلِي [٣]

لا سِيَّمَا مِنْ كَفِّ طَاوِيَةِ الْحَشَا ... تَرْنُو بِنَاظِرَتَيْ خَذُولٍ مُطْفِلِ [٤]

٦٠ — روض [٥] :

يَوْمٌ أَتَاكَ بِوَجْهِهِ الْمُتَهَلِّلِ ... نَاهِيكَ مِنْ يَوْمٍ أَغَرَّ مُحَجَّلِ [٦]

خَلَعَ الْغَمَامُ عَلَى اخْضِرَارِ سَمَائِهِ ... خِلَعاً فَبَيْنَ مُمَسَّكٍ وَمُصَنْدَلِ [٧]

وَعَلَا عَلَى الْأَشْجَارِ قَطْرُ سَمَائِهَا ... فَبَدَتْ لِعَيْنِ النَّاظِرِ الْمُتَأَمِّلِ [٨]

---

(١) المزعفرة : المصبوغة بالزعفران . والسلافة : الخمر . والبردان : مواضع كثيرة لم أرمنها ما اشتهر بالخمر ، ولعله يريد القرية التي على سبعة فراسخ من بغداد ، وتسمى بهذا الاسم . وقطربل قرية بين بغداد وعكبراء ، ينسب إليها الخمر ، وكانت متنزها للبطالين ، وحانة للخمارين .

(٢) المقتل : الموضع الذى إذا أصيب فيه الإنسان قتل من فوره . وسواؤه : وسطه .

(٣) تحكى : : تشابه . وضرام النار : اتقادها . والمصطلى : المستدفىء بالنار .

(٤) طاوية الحشا : هيفاء ضامرة . وترنو : تديم النظر بعين ساكنة . والخذول : الظبية المتخلفة عن صواحبها ، المقيمة على طفلها . والمطفل : ذات الأطفال . شبه بها عيون الساقية ، لأن هذه الظبية أجل ما تكون نظراتها حين ترنو إلى أطفالها فى حب وحنان .

(٥) مصادرها : حلبة الكميت ، ظهر الورقة ٢٠٩ .

(٦) المتهلل : المشرق سرورا . والأغر : الجبيل المشرق . والمحجل : الفرس الذى ابيضت قوائمه ، ويريد هنا وصف اليوم بالإشراق والضياء .

(٨) الخلع : الثياب التى تعطى للإنسان منحة ، جمع خلعة . والممسك: المطيب بالمسك . والمصندل المطيب بالصندل ، وهو شجر هندى طيب الرائحة .

(٨) القطر : المطر .

تحكي قبابَ زبرجدٍ قد كُلِّلتْ بمنظَّمٍ من لؤلؤٍ ومُفصَّلِ [١]
وأتاكَ زهرُ الباقلاءِ كأنّهُ
يرنو إليكَ بطرفِ أغيدَ أكحلِ [٢]
والوردُ يخجلُ كلَّ نورٍ طالعٍ فتراهُ منتقبًا بحمرةِ مُخجِلِ [٣]
وحكى بياضُ الطلِّ في كافورهِ وجهَ الخريدةِ في الخمارِ الصندلِ [٤]
وتغرّدتْ أطيارُهُ فحكتْ لنا نغماتِ معبدَ في الثقيلِ الأوّلِ [٥]
من كلِّ صافيةِ الصفيرِ إذا دعتْ أغنتكَ عن صنجٍ هناكَ وجلجلِ [٦]
وكأنّما الدنيا عروسٌ أقبلتْ في كلِّ أنواعِ الملابسِ تنجلي [٧]

٦١ — قسم [٨]:

لا، ووجهٍ لكَ يُبدي صفحةَ السيفِ الصقيلِ [٩]
وسوادِ الشعرِ الأسـ ـودِ في الخدِّ الأسيلِ [١٠]

---

(١) تحكي : تشبه . وكللت : توجت . والمنظم : الخيط في سلك دون فاصل . والمفصل : الذي بين حباته فواصل .

(٢) الباقلاء : الفول . والطرف : العين . والأغيد : المثنى اللين الأعطاف . والأكحل : الأسود منابت شعر الأجفان خلقة ، كأنه يضع الكحل .

(٣) النور : الزهر الأبيض . والمنتقب : لابس النقاب . وكل نور : منصوب بإسقاط الجار.

(٤) الطل : الندى . والخريدة : الفتاة البكر أو الخفرة الخفيضة الصوت . والخمار : القناع . وصفه بالصندل في اللون .

(٥) معبد : هو معبد بن وهب أو ابن قطني ، إمام أهل المدينة في الغناء . منعه من الصرف لضرورة الشعر والثقيل الأول : أحد الألحان .

(٦) الصنج : آلة موسيقية وترية . والجلجل الجرس الصغير .

(٧) تنجلي العروس : تظهر زينتها .

(٨) مصادرها : المنصف ، الورقة ٧٠ .

(٩) الصقيل : المصقول المجلو ، شبه خده الناعم المشرق بذلك السيف .

(١٠) الأسيل : الطويل الناعم الأملس .

وعيـــونٍ لك لا تَطْــرِفُ إلاّ عن قَتيــلِ
ما جميـلُ الصَّبْرِ عن مِثْـــلِكَ عنـدى بجَميـلِ

٦٢ – حبيب بخيل[1] :

قد رَضِينَا من الغَزالِ الكَحِيلِ   بغُرُورِ العِدَاتِ والتَّعْلِيـلِ[2]
وَهَجَرْنَا سواهُ وَهو مُنِيـلٌ   وَهَوِيْنَاهُ وَهوَ غَيْرُ مُنِيلِ[3]
فـكَثيرُ البَغِيضِ غير كثيرٍ   وَقليلُ الحَبيبِ غَيْرُ قَليلِ
يا عَذُولى زعمتَ صَبْرِى صَوابًا   وَطَرِيقَ الصّوابِ غيرَ مُخِيلِ[4]
هلكَ العزْمُ بين شوْقٍ صَحِيحٍ   أنا فيهِ وَبين صَبْرٍ عليـلِ
لا تعِبْ مَنْ هويتُ بالبُخلِ إنّى   لا أُحِبُّ الحَبيبَ غَيرَ بَخِيلِ
يَجْمُلُ البُخْلُ بالمِلاحِ وإن كا   نَ بغيرِ المِلاحِ غيرَ جميلِ
كُلُّ من سَرَّهُ حبيبٌ جَوادٌ   فلْتطِبْ نفسُه بقَرْنٍ طَويلِ

٦٣ – أعظم أمانىّ الشاعر[5] :

أَسْنَى الأَمانى كلِّهـا   وَأجلُّ مِنْها ما يُنَالْ
كأْسٌ وَمُسْمِعَةٌ وإخْـــوَانٌ تُحادِثهم ومَالْ[6]

---

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٣٦ .
(٢) الكحيل : الأسود منابت شعر الجفون ، كأنه يضع عليها الكحل . والغرور : الخادع والعدات : الوعود . التعليل : التلهى وشغل النفس .
(٣) المنيل : المعطى .
(٤) المخيل : الذى ينتظر منه الخير .
(٥) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٤٠ .
(٦) المسمعة : المغنية .

الميم

٦٤ — خمرية[1] :

اشربْ فقد طابتِ الْمُدامُ   وافترّ عن ثغرِه الْغمامُ[2]
مِنْ قهوةٍ حُرِّمَتْ علينا   والصبرُ عن مثلِها حَرامُ[3]
جلّتْ عن الْوصفِ فهْيَ شيْءٌ   يَدِقُّ عن شأْنِها الْكلام
إذَا اسْتذمّ الْأَسَى إليها   فَمَا له عندها ذِمَام[4]
طوّقَها الْماء سِمْطَ دُرٍّ   لَيسَ لمنْثُورِه نِظَام[5]
كأنّها تحتَه كُمَيْتٌ   عليه من فضةٍ لِجَام[6]
إذَا بدتْ للهموم ظلّتْ   وهي لإعظامِها قِيَام
تَلُوذُ منها فلاَ لِوَاذٌ   ينفعُ منها ولا اعْتِصام[7]
في فتيةٍ كُلُّهم كريمٌ   وَخيرُ من يَصْحَبُ الْكِرام
يكْسُدُ سوقُ الْفَتاةِ فيهم   ظرْفًا ، وَلا يَكْسُدُ الْغُلاَم
أَئمةٌ كُلُّهمْ عَلِيمٌ   بكلّ ما فِعْلُه أَثَام
لكنّني فيهمُ عَلَى ما   وصَفْتُ من فَضْلِهمْ إمام

---

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٣٣ .
(٢) المدام : الخمر . وافتر : ابتسم .   (٣) القهوة : الخمر .
(٤) استذم إليها : طلب منها الذمام والحماية ، يريد أنها لا ترعى له حرمة ، وإنما تبعاش به .
(٥) السمط : العقد . والمنثور : المنثر المتفرق .
(٦) الكميت : الفرس الأسود يميل الى الحمرة .
(٧) تلوذ : تختبئ وتنجأ . واللواذ : الالتجاء والاعتصام .

وعندنا شادنٌ غريرٌ ... فى لحظ أجفانه سقامُ (١)
للحُسْنِ قُدّامَهُ جيوشٌ ... للصَّــبْرِ قُدّامها انهزام
يَخِفّ فى حُبِّهِ التَّصَابى ... كمثْلِ ما يَثْقُل المَلامُ (٢)
ذا العَيْشُ : فافْطَنْ لَهُ وَبادِرْ ... مِنْ قَبْلِ أنْ يَفْطَنَ الحِمَامُ (٣)
وَانْعَمْ فمامُ السُّرُورِ عندى ... يَوْمٌ ، وَيومُ الهُمُومِ عامُ

٦٥ — الربيع (٤) :

أَلَسْتَ تَرَى وَشْىَ الرَّبيعِ الْمُنَمْنَما ... وَما رَصَّعَ الرِّبْعِىُّ فيهِ وَنَظَّما (٥)
فقدحَكَتِ الأَرْضُ السَّماءَ بنَوْرِها ... فَلَمْ أَدْرِ فى التَّشْبِيهِ أيُّهمَا السَّمَا (٦)
فخُضْرَتُها كالجَوِّ فى حُسْنِ لَوْنِهِ ... وَأَنْوارُها تَحْكِى لعَيْنَيْكَ أَنْجُمَا
فَمِنْ نَرْجِسٍ لما رأى حُسْنَ نفسِهِ ... تَداخَلَهُ عُجْبٌ بهـا فتَبَسَّمَا (٧)
وأبْدَى على الْوَرْدِ الْجَنِىِّ تَطاوُلاً ... فأظْهرَ غَيْظُ الْوَرْدِ فى خَدِّهِ دَمَا (٨)
وَزَهْرِ شَقِيقٍ نَازَعَ الْوَرْدَ فَضْلَهُ ... فزادَ عليــهِ الْوَرْدُ فضلاً وقَدَّمَا (٩)

---

(١) الشادن : ولد الظبية الذى قوى، واستغنى عن أمه . والغرير : غير المجرب . والسقام هنا : الفتور .

(٢) التصابى : الميل إلى اللهو واللعب .

(٣) الحمام : الموت . ويبدو أن هذه القصيدة نظمها الشاعر فى كبره ، بدليل توقع الحمام ، ولفظ التصابى السابق .

(٤) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٣٦ .

(٥) الوشى : الثوب الكثير الألوان ، ويريد هنا الورود المختلفة . والمنمنم : المزخرف المزين. والربعى : المنسوب إلى الربيع ، ويريد كل ما يظهر فيه من نبات وزهر .

(٦) النور : الزهر الأبيض .

(٧) العجب : الكبرياء والإعجاب بالنفس . (٨) الجنى : الناضج المكتمل والرطب .

(٩) الشقيق : زهر أحمر . وقدم : سبق

وظَلَّ لفَرْطِ الْحُزْنِ يَلْطِمُ خَدَّه فأَظهرَ فيهِ اللَّطْمُ جَمْرًا مُضَرَّمَا
ومِنْ سَوْسَنٍ لما رأى الصِّبْغَ كُلَّه على كُلِّ أَنْوارِ الرِّياضِ تُقَسَّمَا[1]
تَجَلْبَبَ مِنْ زُرْقِ الْيَواقيتِ حُلَّةً فأَغْرَبَ في الْمَلْبُوسِ منه وأَعْلَما
وأَلْوانِ مَنْثُورٍ تَخالَفَ شَكْلُها فظَلَّ بها شَكْلُ الرَّبيعِ مُنَمْنَمَا[2]
جَوَاهِرُ لَوْ قَدْ طَالَ فِينَا بَقَاؤُهَا رَأَيْتَ بها كُلَّ الْمُلُوكِ مُخَتَّمَا[3]
فَقُمْ فاسْقِنِي ما حَرَّمُوهُ فَمَا أَرَى من العيشِ حُلْوًا غيرَ ما قيلَ حُرِّمَا

٦٦ — مغالطة[4] :

ذِهنُ غَالَطَ مني فَهمَـــا جاءني يَسأَلُ عما عَلِمَا
مُقْسِمٌ ما بَلَغَتْـهُ عِلَّتِي كاذبٌ وَاللهِ فيما زَعَمَـــا[5]
كيفَ لم يَبْلُغْهُ عنى سَقَمِي وهُوَ الْمُهْدِى إِلَيَّ السَّقَمَا[6]
رُزِقَ الْمَظْلُومُ منا رحمةً ! ثُمَّ لاَ أَدْعُو على مَنْ ظَلَمَا

٦٧ — جواب دعوة[7] :

يا باعِثًـــا لِدَعْوَتِي غُلامَهُ وعَاتِبًا مِنْ تَرْكِنا إِلْمَامَهُ[8]
إِذَا أَرَدتَ أَنْ تُزَارَ في غَدِ فَلاَ تُغَالِ فِي الطَّعامِ وَاقْصِدِ

---

(١) الصبغ : اللون .
(٢) المنثور : نبات ذو زهر ذكي الرائحة . (٣) تختم بها : اتخذها خاتما له .
(٤) مصادرها : المنصف ، الورقة ٦٢ . وديوان الصبابة ١١٧ .
(٥) في ديوان الصبابة : مقسما . (٦) هذا البيت ليس في ديوان الصبابة .
(٧) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٢٨ . ومنها ثلاثة أبيات في نهاية الأرب ١١ : ٥٩ . ومباهج الفكر ٣١٨ .
(٨) إلمام : زيارة .

وَاعْمِدْ إلى ما أنا منهُ وَاصِفُ   فإنَّنِي بالطَّيِّبَاتِ عارفُ
ابعثْ فخُذْ عشرًا من الرُّقَاقِ   تَلَذُّها نواظرُ الأحْداقِ (١)
تكادُ مِمَّا رقَّ من خرشائها   تَشِفُّ لِلأعْيُنِ من صَفائها (٢)
أرقَّها الصَّانعُ حتى خَفَّتِ   ولطُفَتْ أجسامُها وَمُدَّتِ
تكادُ لولا حِذْقُهُ في صنْعَتِهْ   تُطيرُها أنفاسُه من رَاحتِهْ
حتى أتتْ في صورةِ البُدُورِ   أوْ مثلَ جاماتٍ من البِلُّورِ (٣)
حتى إذا فَرَغتَ منْها مُتْقِنا   ولم يَرَ الْمعائبُ فيها مَطْعَنَا
فاعْمِدْ إلى مُدَوَّرٍ من البَصَلْ   فإنهُ أكبرُ أعوانِ العَمَلْ (٤)
يحكي لعينيك اخضرارُ قشرِهِ   إذا رَماهُ ناظرٌ بفِكْرِهِ (٥)
غلائلاً خُضْرًا على جُسومِ   بيضٍ رِطَابٍ من بناتِ الرُّومِ (٦)
حتى إذا أحكمتَهُ تقطيعًا   وقلتَ : قد جوَّدْتُهُ صنيعا
خلطتَهُ باللحمِ خلطًا جيِّدا   ولم تزلْ تخلطُه مُرَدِّدا
حتى إذا أنتَ أجدْتَ فِعْلَهْ   ثُمَّ جمعتَ في الرُّقاقِ شملَه

---

(١) الرقاق : الخبز الرقيق، جمع رقاقة . وفى الاصل المطبوع: الزقاق: جمع زق ، وهو وعاء الخمر.

(٢) الخرشاء هنا : ما يعلو على وجه الرقاقة من الدقيق الأبيض حين تجف . وفى الأصول : الحرساء . تحريف . (٣) الجامات : الكئوس ، جمع جام .

(٤) هذا البيت والبيتان اللذان بعده : فى نهاية الأرب ١١ : ٥٩ ومباهج الفكر ٣١٨ وروايته : أكثر أعوان .

(٥) فى نهاية الأرب ومباهج الفكر : أحمرار قشره ، وهو أحسن .

(٦) الغلائل : الثياب الرقيقة ، جمع غلالة . والرطاب : الرخصة ، وفى نهاية الأرب ومباهج الفكر : غلائلا حمرا . وفى المباهج : جسوم الروم .

صَيَّرْتَهُ يا ذا الْعُلاَ السَّنِيَّهْ ... شابُورَةً ليست لها سَمِيَّهْ[1]

ثُمَّتَ أغْلِ الشُّبْرِقَ الْمُقَشَّرَا ... من فَوْقِهِ حتى تَرَاه أحمرا[2]

مُكْتَسِيًا حُلَّتهُ الْخَمْرِيَّهْ ... مِنْ بَعْدِ ما عَهِدْتَها فِضِّيَّهْ

ثُمَّ أدِرْ كأْسَ الشَّمُولِ مُنْعِما ... أكْرِمْ بهذا مَشْرَبًا وَمطْعَما[3]

فلستَ فى فِعْلِكَ ذا مُبَذِّرَا ... كلاَّ وَلا فى حَقِّنَا مُقَصِّرَا

٦٨ — حسد[4] :

لا تَحْسُدَنَّ صَدِيقًا ... على تَزَايُدِ نِعْمَهْ

فإنَّ ذلكَ عنـدى ... سقوطُ نَفْسٍ وهِمَّه

٦٩— الصَّبُوح[5] :

ضَحِكَ الفجرُ ساخرا بالظلامِ ... حين فُلَّتْ جيوشُهُ بانهزامِ

لاح فى الخِنْدِسِ البَهِيمِ يُحاكى ... مَلِكَ الرُّومِ بين أبناء حامِ[6]

فدَعِ اللومَ واسْقِنِيها كُمَيْتًا ... سَبَكَتْ تِبْرَها يدُ الأيامِ[7]

---

(١) جاء فى القاموس : « الشبر : شىء يتعاطاه النصارى كالقربان ، أو القربان بعينه » ، ولعله يسمى الشابورة أيضا .

(٢) الشبرق : نبات غض ، ثمرته شائكة صغيرة الجرم حمراء . (٣) الشمول : الخمر الباردة .

(٤) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٢٤١

(٥) مصادرها : ثمار الأزهار ٤٦ .

(٦) الخندس : الليل الشديد الظلمة . البهيم : الخالص السواد .

(٧) الكميت : الخمر ، لونها أحمر يميل الى السواد .

٧٠ — زورة الحبيب (١) :

زارني في دُجَى الظلامِ البَهيمِ   قمرٌ باتَ مُؤنِسِي ونَدِيمِي
بحديثٍ كأنَّه عَودةُ الصِّحَّـــةِ في الجسمِ بعدَ يأسِ السَّقيمِ
تتلقَّى القلوبُ منه قَبُولا   كتَلَقِّي الخمورِ بردَ النسيمِ

النون

٧١ — طيب الرِّيق (٢) :

رِيقٌ إذا ما ازددتُ من شُرْبِهِ   رِيًّا ، ثَنانِي الرِّيُّ ظمآنا
كالخمرِ أرْوَى ما يكونُ الفتَى   من شُرْبِها أعطشَ ما كانا

٧٢ — مرض الحبيب (٣)

لو كان كلُّ عَليلٍ   يزدادَ مثلَك حُسْنَا
لكان كلُّ صحيحٍ   يوَدُّ لو كان مُضْنَى
يا أكملَ الناسِ حُسْنًا   صِلْ أكْمَلَ الناسِ حُزْنَا
غَنِيتَ عَنِّي ومالِي   وَجْهٌ به عنكَ أغْنَى !

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٢٩ .
(٢) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٢٩ . ونهاية الأرب ٢ : ٦٠ ، ونسبها إلى ابن وكيع البستي ، خطأ .
(٣) مصادرها : الصبح المنبي ، عن حيثية المتنبي ١٥٨ .

٧٣ – دعوة[١] :

كتبتُ وفرْطُ شوْقى قد عَنانِى ... وقد بَعُدَ اللقاء على التَّدانى[٢]

وما فى البيتِ لى ثانٍ فـكُنْ لى ... جُعِلتُ فداكَ يا مولاىَ – ثانى

فعِنْدى ما يجاوزُ كلَّ وَصْفٍ ... وما يُرْضى الخليلَ إذا أتانى

خرُوفٌ أُظْهِرَ الشِّوَاءُ فيه ... تأنَّقَه فليسَ له مُدانى

غِلالةُ باطنٍ منـــه لُجَيْنٌ ... وظاهِرُهُ غِلالةُ زَعْفرانِ[٣]

وكأسٌ مثلُ عينِ الديكِ صِرْفٌ ... لها حَبَبٌ كمَنْظُومِ الجُمانِ[٤]

تقادمَ عَهْدُها فبدتْ كشخصٍ ... عديمِ الحُسْنِ موجودِ العِيَانِ[٥]

لها فى كَفِّ شاربِها شُعاعٌ ... تَطرَّفَ منه مُبْيَضُّ البَنانِ[٦]

يطوفُ بشمْسِها قمرٌ مُنيرٌ ... تَمـكَّنَ طالعًا فى غُصْنِ بانِ[٧]

وإن أحببتَ مُسْمِعَةً أتتْنا ... مُحذَّقَةٌ بأصـــناف الأغانى[٨]

تُطَارِقُ هَمَّ سامِعِها ثلاثًا ... بتحريكِ المَثالثِ والمَثانى[٩]

فهذا عندنا ، ولدُونَ هذا ... لَعَمْرُكَ ما كفاكَ وما كَفانى

فزُرْنا لا عَدِمْتُك من صديقٍ ... تَتِمَّ لنا بزَوْرَتِهِ الأمانى

---

(١) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٤٢ . (٢) عناه : شغله وأهمه .

(٣) الغلالة : الثوب الخفيف . واللجين : الفضة .

(٤) الصرف : النقية الخالصة . والجمان : اللؤلؤ .

(٥) عديم الحسن : أى لا يوجد من يماثله حسنا .

(٦) تطرف منه : تخضب منه بنانه الأبيض بلون أحمر .

(٧) البان : شجر معتدل القوام تشبه به القدود . (٨) المسمعة : المغنية والمحذقة : الماهرة .

(٩) المثالث : جمع مثلث ، وهو ثالث أوتار العود . والمثانى جمع مثنى ، وهو ثانى الأوتار .

٧٤ — الصَّعْتَرى[1] :

صَعْتَرىٌ أرَقُّ من أرْجُلِ النَّمْـــلِ وأذْكَى مِنْ نَفْحَةِ الزَّعفرانِ
كَسُطُورٍ كُسِينَ نَقْطاً وشَكْلاً مِنْ يَدَىْ كاتبٍ ظَرِيفِ البَنانِ[2]

٧٥ — ثقيل[3] :

ما السُّقْمِ فى سفرٍ والدَّيْنُ مع عُدْمٍ يَوْماً بأثقل مِنْهُ حِينَ يلْقانى[4]
مالى عليه مُعِينٌ حين أبصره غَيرُ الصُّدُودِ وتغميضٍ لأجفانِ

٧٦ — متى الزهد[5] ؟ :

ازهدْ إذَا الدُّنْيا أنَالَتْكَ المُنَى فهُنَاكَ زُهْدُكَ مِنْ شُرُوطِ الدِّينِ

٧٧ — شَماتة[6] :

لَقَــــدْ شَمِتُّ بقلبى لاَ فَرَّجَ اللهُ عنْـــهُ
كَمْ لُمْتُهُ فى هـــواهُ فقال : لا بُدَّ مِنْـــهُ[7]

---

(١) مصادرها : نهاية الأرب ١١ : ٢٥٥ . وتحفة المجالس ٢٢٥ . وحسن المحاضرة ٢ : ٢٩٢ . ومباهج الفكر ٤٣٢ . (٢) الصعترى : نوع من الريحان . وفى تحفة المجالس : ظريف البيان .

(٣) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٤٠ (٤) العدم : الفقر .

(٥) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٣٥١ .

(٦) مصادرها : وفيات الأعيان ١ : ٢٠٢ .

وقال ابن خلكان بعد أن أتى بها : وقد ألم بهذا المعنى بعضهم فقال :

لا رعى الله عزمة ضمنت لى سلوة القلب والتصبر عنه
ما وفت غير ساعة ثم عادت مثل قلبى تقول : لا بد منه

ومثله قول أسامة بن منقذ :

لا تستعر جلدا على هجرانهم فقواك تضعف عن صدود دائم
واعلم بأنك إن رجعت إليهم طوعا ، وإلا عدت عودة راغم

(٧) هواه : كذا فى الوفيات ١ : ١٧١ طبع بلاق ١٢٩٩ هـ ، وفى مطبوعة باريس : هواى .

الهاء

٧٨ — وحكى ابن وكيع أنه كان يهوى غلاما نصرانيا بتِنِّيس، فلامه بعض أصحابه عليه، ولم يكن رآه. فاتفق أن الغلام مر بهما، فلما رآه صاحب ابن وكيع استحسنه، وقال: «لو عشقت هذا ما لمتك». ولم يعلم أنه محبوبه الذى لامه عليه. فقال ابن وكيع فى الحال [1]:

أَبْصَرَهُ عاذِلِى عليـــهِ ... ولم يَكُنْ قَبْـلَ ذا رَآهُ [2]
فقالَ لى : لو هَوِيتَ هـــذا ... ما لامَكَ النّاسُ فى هَوَاهُ ! [3]
قُلْ لى : إِلَى مَنْ عَدَلْتَ عنه ... فليسَ أَهلُ الْهَوَى سَوَاهُ ؟
فظَلَّ [4] مِنْ حَيْثُ ليس يَدْرِى ... يَأْمُرُ بالْحُبِّ مَنْ نَهَـــاهُ !

٧٩ — هجاء [5]:

لِئـــيمٌ لايزالُ يَلُمّ وَفْرًا ... لوارِثِه فَيَنْفَح عن حِمــاهُ [6]
كَكَلْبِ الصَّيدِ يُمْسِكُ وهو طَاوٍ ... فَرِيسَتَه لِيَأْكُلَهَـــا سِـــوَاهُ [7]

---

(١) مصادرها : ديوان الصبابة ١٠٤ وتزيين الأسواق ١٩٩ ويتيمة الدهر ١ : ٣٤٠ ووفيات الأعيان ١ : ٢٠٢ ونهاية الأرب ٢ : ٢٤٢ . وسبق له مقطوعة تشبه هذه ، انظر رقم ٢٢ .
(١) فى تزيين الأسواق : ولم يكن قبلها . (٢) فى نهاية الأرب والتزيين : لو عشقت هذا .
(٣) فى نهاية الأرب : وظل . (٤) مصادرها : المنصف ، الورقة ١١٣ .
(٥) الوفر : الغنى والمال الكثير . وينفح : يصد ويدافع .
(٦) الطاوى : الجائع .

اليـــاء

٨٠ — النجوم والسماء (١) :

أَما تَرَى أَنْجُمَ الدَّيَاجِى   تُزْهِرُ فى جَوْفِهَا النَّقِىِّ (٢)
تَحْكِى لَنَا لُؤْلُؤًا نَثِيرًا   عَلَى بِسَاطٍ بَنَفْسَجِىِّ (٣)

٨١ — خمول (٤) :

لَقَد قَنِعتْ هِمَّتِى بِالْخُمُولِ   وَصَدَّتْ عن الرُّتَبِ العَالِيَهْ
وَمَا جَهِلتْ طَعْمَ طِيبِ العُلا   ولَـكِنَّها تُؤْثِرُ الْعَـافِيَهْ

٨٢ — زهر الباقلاء (٥) :

كأَنَّ أَوراقَ زَهْرِ   لِلبَـــاقِلاَءِ بَهِيَّـــهْ (٦)
خَواتِمٌ من لُجَيْنٍ   فُصُوصُهَـــا حَبَشِيَّهْ (٧)

---

(١) مصادرها : حلبة الـكميت ، الورقة ٩٨ .

(٢) الدياجى : الظلمات . وتزهر : تضىء . وفى النسخة المطبوعة : نويها،فى موضع : جوفها .

(٣) تحـكى : تشابه . ونثيرا : منثورا مفرقا ، وفى المطبوعة : رطيبا .

(٤) مصادرها : وفيات الأعيان ١ : ٢٠٢ . ومرآة الجنان ٢ : ٤٤٥ . وشذرات الذهب ٣ : ١٤١ . وقال صاحب مرآة الجنان : « قال بعض الفقهاء : أنشدت الشيخ أبا الفتح القضاعى المدرس بتربة الشافعى فى القرافة ، بيتى ابن وكيع المذكورين ، فأنشدنى لنفسه على البديهة :

بقدر الصعود يكون الهبوط   فإياك والرتب العاليه
وكن فى مكان إذا ما سقطت   تقوم ورجلاك فى عافيه

(٥) مصادرها : يتيمة الدهر ١ : ٢٤٠ . ونهاية الأرب ١١ : ٢٢ .

(٦) الباقلاء : الفول الأخضر وفى نهاية الأرب : ورد الباقلاء

(٧) اللجين : الفضة .

ضميمـــة

عثرت على المقطوعتين التاليتين فى نسختين مخطوطتين من يتيمة الدهر للثعالبى بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨١ ، ٧٤٤٠ أدب :

٨٣ — أنشدنى له محمد بن عمر الزاهد :

صـــديقٌ لى له أدبُ ... صداقةُ مثـــلِهِ نَسَبُ
رَعَى لى فوقَ ما يُرْعَى ... وأوْجبَ فوقَ ما يجبُ
فلوْ نُقِـــدتْ خلائقُهُ ... تَبَهْرَجَ عنـــدها الذهبُ(١)

٨٤ — دمع وسهر :

رُبَّ ليلٍ لم أذُقْ فيه الكرَى ... حَظُّ عينى فيه دمعٌ وَسَهَرْ
طال حتى خِلْتُه لا ينقضِى ... وَنَأَى الصُّبحُ فما منه أثَرْ
كلما هَيَّج شوقى حُرَقِى ... صحتُ: ياليلُ،أمَا فيكَ سَحَرْ!(٢)

انتهى ما وجدته من شعر ابن وكيع التنيسى
والحمد لله أولا وآخرا

---

(١) تبهرج الذهب : أى صار بهرجا لا قيمة له .
(٢) الحرق : الأحزان والآلام .

محتويات الكتاب

رجـــاء

عثرت على بعض المقطوعات بعد أن طبعت المقدمة ، أدخلتها فى موضعها واضطررت إلى حذف مقطوعة ، من الكتاب ، فتغير ترتيب القصائد وأرقامها عما كان فى المقدمة .
فأرجوا ملاحظة أن أغلب الأرقام المذكورة فيها تزيد «واحدا» ، فرقم ٢٩ الموجود فى السطر ٤ من الصفحة ٢٢ مثلا صار ٢٨ ، وكذا الحال مع أغلب الأرقام .

تصـــويب

الصفحة	السطر	الخطـأ	الصـواب	الصفحة	السطر	الخطـأ	الصـواب
٤٥	٣	دَقَّ	رَاقَ	٧٤	١٣	(٧)	(٦)
٤٧	١٠	الغليظُ	الغليظَ	٨٥	١٠	يصدُّنك	يصدُّنك
٤٧	٢٢	الحافى	الجافى	٨٧	١٧	بداه	بداء
٥١	١	هجرى	هجرتى	٨٨	١	البرادن	البردان
٥١	٢	نشَفَّعُهُ	تُشَفِّعُهُ	٨٨	١٦	انقاده	انقادها
٥٢	١٤	الدوحُ	الدوحِ	٩٤	٩	ـكى	يحكى
٥٤	١٠	فضةِ	فضةٍ	٩٤	١٠	الروه	الروم
٥٩	٢	أنّى	أنَّى	٩٦	١٠	يزدادَ	يزدادُ

دار مصر للطباعة

الثمن ١٥ قرشا